

## سورة القصص

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء. وقال ابن عباس وقناة إلا آية نزلت بين مكة والمدينة. وقال ابن سلام: بالجحفة في وقت هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة. وهي قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ وقال مقاتل: فيها من المدني ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ وهي ثمان وثمانون آية.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَمَ﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ تَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣﴾ وَزُرِيدُوا أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٤﴾ وَتُمْكِنُ لَهُمُ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَمَلَئًا وَجُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿طَسَمَ﴾ تقدم الكلام فيه. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ﴿تِلْكَ﴾ في موضع رفع بمعنى هذه تلك و﴿آيَاتُ﴾ بدل منها. ويجوز أن يكون في موضع نصب ب﴿تَتْلُوا﴾ و﴿آيَاتُ﴾ بدل منها أيضاً؛ وتنصبها كما تقول: زيدا ضربت. و﴿الْمُبِينِ﴾ أي المبين بركته وخيره، والمبين الحق من الباطل، والحلال من الحرام، وقصص الأنبياء، ونبوة محمد ﷺ. ويقال: بان الشيء وأبان اتضح. ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ﴾ من نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ذكر قصة موسى عليه السلام وفرعون وقارون، واحتج على مشركي قريش، وبين أن قرابة قارون من موسى لم تنفعه مع كفره، وكذلك قرابة قريش لمحمد، وبين أن فرعون علا في الأرض وتجبر، فكان ذلك من كفره، فليجتنب العلو في الأرض، وكذلك التعزز بكثرة المال، وهما من سيرة فرعون وقارون. ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ﴾ أي يقرأ عليك جبريل بأمرنا ﴿مِن نَّبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ أي من خبرهما و﴿مِن﴾ للتبويض و﴿مِن نَّبَأِ﴾ مفعول ﴿تَتْلُوا﴾ أي تَتْلُوا عَلَيْكَ بعض خبرهما؛ كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ بِالذَّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]. ومعنى: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالصدق الذي لا ريب فيه ولا كذب. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يصدقون بالقرآن ويعلمون أنه من عند الله؛ فأما من لم يؤمن فلا يعتقد أنه حق.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي استكبر وتجبر؛ قاله ابن عباس والسدي<sup>(١)</sup>. وقال قناة: علا في نفسه عن عبادة ربه بكفره وادعى الربوبية<sup>(٢)</sup>. وقيل: بملكه وسلطانه فصار عالياً على

(١) موصول عن السدي بسند حسن: كما عند الطبري (٢٠ / ٢٨) في تفسيره.

(٢) صحيح إليه: ابن أبي حاتم (١١ / ٢٢٩) في تفسيره.

من تحت يده. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي أرض مصر. ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا﴾ أي فرقاً وأصنافاً في الخدمة. قال الأعشى:

بلدة يَرْهَبُ الْجَوَّابُ دَجَلَتَهَا      حتى تراه عليها يَبْتَغِي الشِّيْعَا  
 ﴿يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ أي من بني إسرائيل. ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ تقدم القول في هذا في «البقرة» عند قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩] الآية؛ وذلك لأن الكهنة قالوا له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يذهب ملكك على يديه، أو قال المنجمون له ذلك، أو رأى رؤيا فعبرت كذلك. قال الزجاج: العجب من حمقه لم يدر أن الكاهن إن صدق فالقتل لا ينفع، وإن كذب فلا معنى للقتل. وقيل: جعلهم شيعاً فاستسخر كل قوم من بني إسرائيل في شغل مفرد. ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي في الأرض بالعمل والمعاصي والتجبر.

قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي نتفضل عليهم وننعم. وهذه حكاية مضت. ﴿وَنَجْعَلُهمُ أُمَّةً﴾ قال ابن عباس: قادة في الخير (١). مجاهد: دعاة إلى الخير (٢). قتادة: ولاية وملوكاً (٣)؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠].

قلت: وهذا أعم فإن الملك إمام يؤتم به ويقتدى به. ﴿وَنَجْعَلُهمُ الْوَارِثِينَ﴾ لملك فرعون؛ يرثون ملكه، ويسكنون مساكن القبط. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَوَدَّعْتُمْ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي نجعلهم مقتدرين على الأرض وأهلها حتى يستولى عليها؛ يعني أرض الشام ومصر. ﴿وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ أي ونريد أن نري فرعون. وقرأ الأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف: ﴿وَنُرِي﴾ بالياء (٤) على أنه فعل ثلاثي من رأى ﴿فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ رفعا لأنه الفاعل. الباقون ﴿وَنُرِي﴾ بضم النون وكسر الراء على أنه فعل رباعي من أرى يري، وهي على نسق الكلام؛ لأن قبله ﴿وَنُرِيدُ﴾ وبعده ﴿وَنُمَكِّنُ﴾. ﴿فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ نصباً بوقوع الفعل. وأجاز الفراء «وَيُرِي فِرْعَوْنَ» بضم الياء وكسر الراء وفتح الياء بمعنى ويرى الله فرعون ﴿مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يدي رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل «منهم» فأراهم الله ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾. قال قتادة: كان حازياً لفرعون والحازي المنجم قال إنه سيولد في هذه السنة مولود يذهب بملكك؛ فأمر فرعون بقتل الولدان في تلك السنة. وقد تقدم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٥٦﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ

(١) انظر: تفسير البغوي (٦/ ١٩٠) غير مسند.

(٢) (٣) السابق (٦/ ١٩٠)، وأبو حيان (٧/ ١٠٤) في البحر المحيط ورواه موصولاً، عن قتادة بلفظ (يرثون الأرض بعد فرعون وقومه) و (ولاية الأمر).

(٤) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٥٦).

(٥) في إسناده نظر: الطبري (٢٠/ ٣٠) في تفسيره، ومثل هذه الروايات منقولة حرفياً عن التوراة المحرفة.

وَهَمَلْنَ وَجُوذَهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ  
عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ قد تقدم معنى الوحي ومحامله. واختلف في هذا الوحي إلى أم موسى؛ فقالت فرقة: كان قولاً في منامها. وقال فتادة: كان إلهاماً<sup>(١)</sup>. وقالت فرقة: كان بملك يمثل لها. قال مقاتل: أتاه جبريل بذلك، فعلى هذا هو وحي إلهام لا إلهام. وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية<sup>(٢)</sup>، وإنما إرسال الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في الحديث المشهور؛ خرجه البخاري ومسلم، وقد ذكرناه في سورة «براءة»<sup>(٣)</sup>. وغير ذلك مما روي من تكليم الملائكة للناس من غير نبوة، وقد سلمت على عمران بن حصين فلم يكن بذلك نبياً. واسمها أيارخا وقيل أيارخت فيما ذكر السهيلي. وقال الثعلبي: واسم أم موسى لوحا بنت هاند ابن لاوي بن يعقوب. ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ وقرأ عمر بن عبد العزيز: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ بكسر النون وألف وصل؛ حذف همزة أرضع تخفيفاً ثم كسر النون لالتقاء الساكنين. قال مجاهد: وكان الوحي بالرضاع قبل الولادة<sup>(٤)</sup>. وقال غيره بعدها. قال السدي: لما ولدت أم موسى أمرت أن ترضعه عقيب الولادة وتصنع به بما في الآية؛ لأن الخوف كان عقيب الولادة<sup>(٥)</sup>. وقال ابن جريج: أمرت بإرضاعه أربعة أشهر في بستان، فإذا خافت أن يصبح لأن لبنها لا يكفيه صنعت به هذا<sup>(٦)</sup>. والأول أظهر إلا أن الآخر يعضده قوله: ﴿فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ﴾ و«إِذَا» لما يستقبل من الزمان؛ فيروي أنها اتخذت له تابوتاً من بردى وقيرته بالقار من داخله، ووضعت فيه موسى وألقته في نيل مصر. وقد مضى خبره في «طه»<sup>(٧)</sup>. قال ابن عباس: إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استظالموا على الناس، وعملوا بالمعاصي؛ فسلب الله عليهم القبط، وساموهم سوء العذاب، إلى أن نجاهم الله على يد موسى<sup>(٨)</sup>. قال وهب:

(١) صحيح: الطبري (٢٠ / ٣١) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١١ / ٢٣٣) في تفسيره.

(٢) قلت: كونها غير نبية فمعروف، لكن أن يتمثل لها جبريل عليه السلام فهذا غير معتمد وذلك لعدم دلالة القرآن عليه، فإن الملائكة كلمت مريم عليها السلام كما في «آل عمران» وجاءها جبريل عليه السلام، كما في سورة «مريم» صرح القرآن بذلك.

ثم لو أضفت ضميمه من السنة، وهو حديث البخاري (٣٦٨٩) في فضائل أصحاب النبي ﷺ عن أبي هريرة - رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لقد كان في الأمم ناس محدثون، فإن بك في أمي أحد فإنه عمر».

وفي رواية: «من بني إسرائيل» وفيها «من غير أن يكونوا أنبياء فهذا يدل دلالة قاطعة على عدم تمثيل جبريل عليه السلام أو كلامه لها، والأصل عندنا قيام الدليل على الأمر لفقدان الإسناد المتصل بيننا وبين الأمم السابقة والله أعلم، فإن لم يقم الدليل فالخير باطل».

(٣) سبق عند الآية ٦٠. (٤) هكذا عند الشوكاني في (٤ / ٢٢٥) في فتح القدير.

(٥) كذا عند الطبري (٢٠ / ٣٢) في تفسيره.

(٦) صحيح إليه: انظر السابق (٢٠ / ٣٢)، ومثته منكر جداً.

قلت: ولا يصح إلا قول مجاهد لدلالة السياق عليه، ثم لأن هذا ما يتوافق مع طبائع البشر والله أعلم.

(٧) عند الآية (٣٩).

(٨) منقطع: البغوي (٦ / ١٩٠) في تفسيره، عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

بلغني أن فرعون ذبح في طلب موسى سبعين ألف وليد. ويقال: تسعون ألفاً. ويروى أنها حين اقتربت وضربها الطلق، وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني إسرائيل مصافية لها؛ فقالت: لينفني حبك اليوم؛ فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه، وارتعش كل مفصل منها، ودخل حبه قلبها، ثم قالت: ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون، ولكنني وجدت لابنك حباً ما وجدت مثله قط، فاحفظه؛ فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور ناراً لم تعلم ما تصنع لما طاش عقلها، فطلبوا فلم يلفوا شيئاً، فخرجوا وهي لا تدري مكانه، فسمعت بكاءه من التنور، وقد جعل الله عليه النار برداً وسلاماً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ فيه وجهان: أحدهما: لا تخافي عليه الغرق؛ قاله ابن زيد. الثاني: لا تخافي عليه الضيعة؛ قاله يحيى بن سلام. ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ فيه أيضاً وجهان: أحدهما: لا تحزني لفراقه؛ قاله ابن زيد<sup>(٢)</sup>. الثاني: لا تحزني أن يقتل؛ قاله يحيى بن سلام. فقيل: إنها جعلته في تابوت طوله خمسة أشبار وعرضه خمسة أشبار، وجعلت المفتاح مع التابوت وطرحته في اليم بعد أن أرضعته أربعة أشهر. وقال آخرون: ثلاثة أشهر. وقال آخرون ثمانية أشهر؛ في حكاية الكلبي. وحكي أنه لما فرغ النجار من صنعة التابوت نم إلى فرعون بخبره، فبعث معه من يأخذه، فطمس الله عينيه وقلبه فلم يعرف الطريق، فأيقن أنه المولود الذي يخاف منه فرعون، فأمن من ذلك الوقت؛ وهو مؤمن آل فرعون؛ ذكره الماوردي<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عباس: فلما توارى عنها ندمها الشيطان وقالت في نفسها: لو ذبح عندي فكفنته وواريته لكان أحب إلي من إلقائه في البحر<sup>(٤)</sup>؛ فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي إلى أهل مصر. حكى الأصمعي قال: سمعت جارية أعرابية تنشد وتقول:

أستغفر الله لذنبي كلَّه      قَبَلْتُ إِنْسَانًا بغير حِلَّه  
مثل الغزال ناعماً في دَلَّه      فانتصف الليل ولم أصله

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك فقالت: أو يعد هذا فصاحة مع قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية؛ فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزْنًا﴾ لما كان التقاطهم إياه يؤدِّي إلى كونه لهم عدواً وحزناً؛ فاللام في ﴿لِيَكُونَ﴾ لام العاقبة ولا م الصيرورة؛ لأنهم إنما أخذوه ليكون لهم قرّة عين، فكان عاقبة ذلك أن كان لهم عدواً وحزناً، فذكر الحال بالمأل؛ كما قال الشاعر:

وللمنايا تُربِّي كلُّ مُرْضِعَةٍ      ودورنًا لخراب الدهر بُنِيهَا

(١) خير باطل ولا دليل عليه .

(٢) حسن إليه أو صحيح: الطبري (٢٠ / ٣٠) في تفسيره، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١١ / ٢٣٥).

(٣) هذا أيضاً باطل: النكت والعيون (٣ / ٢١٦، ٢١٧) ولا يقوم عليه دليل، فالرجل المؤمن هو من آل فرعون أي كان من الطبقة الحاكمة، وبنو إسرائيل يعملون في المهن الشاقة كالتجارة وغيرها، فكيف يستقيم الأمر؟

(٤) حسن: ورجاله ثقات على كلام في (أصغ بن زيد الجهني الوراق) رواه ابن أبي حاتم (١١ / ٢٣٦) في تفسيره من طريق سعيد بن جبير - رحمه الله، عن ابن عباس به.

وقال آخر:

فللموت تَعَدُّو الوالداتُ سِخَالَهَا      كما لخراب الدهر تُبْنِي المساكنُ  
أي فعاقبة البناء الخراب وإن كان في الحال مفروحاً به. والالتقاط وجود الشيء من غير طلب ولا إرادة. والعرب تقول لما وجدته من غير طلب ولا إرادة: التقطه التقاطاً. ولقيت فلاناً التقاطاً. قال الراجز:  
ومنهَّلٍ وردته التقاطا

ومنه اللقطة. وقد مضى بيان ذلك من الأحكام في سورة «يوسف»<sup>(١)</sup> بما فيه كفاية. وقرأ الأعمش ويحى والمفضل وحزمة والكسائي وخلف: «وَحَزْنًا» بضم الحاء وسكون الزاي. والباقون بفتحهما واختاره أبو عبيد. وأبو حاتم قال التفخيم فيه. وهما لغتان مثل العدم والعُدْم، والسقم والسَّقْم، والرشد والرُّشْد. «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ» وكان وزيره من القبط. «وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ» أي عاصين مشركين آثمين.

قوله تعالى: «وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ» يروي أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت يعوم في البحر، فأمرت بسوقه إليها وفتحه، فأرت فيه صبياً صغيراً فرحمته وأحبتة؛ فقالت لفرعون: «قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكِ» أي هو قرّة عين لي ولك فد «قُرْتُ» خير ابتداء مضمراً؛ قاله الكسائي. وقال النحاس: وفيه وجه آخر بعيد ذكره أبو إسحاق؛ قال: يكون رفعا بالابتداء والخير «لَا تَقْتُلُوهُ» وإنما بعد لأنه يصير المعنى أنه معروف بأنه قرّة عين. وجوازه أن يكون المعنى: إذا كان قرّة عين لي ولك فلا تقتلوه. وقيل: تم الكلام عند قوله: «وَلَكِ». النحاس: والدليل على هذا أن في قراءة عبد الله بن مسعود: «وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ لَا تَقْتُلُوهُ قُرَّةُ عَيْنِي لِي وَلَكِ». ويجوز النصب بمعنى لا تقتلوا قرّة عين لي ولك. وقالت: «لَا تَقْتُلُوهُ» ولم تقل لا تقتله فهي تخاطب فرعون كما يخاطب الجبارون؛ وكما يخبرون عن أنفسهم. وقيل: قالت: «لَا تَقْتُلُوهُ» فإن الله أتى به من أرض أخرى وليس من بني إسرائيل. «عَسَى أَنْ يَفْعَنَا» فنصيب منه خيراً «أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا» وكانت لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها، وكان فرعون لما رأى الرؤيا وقصها على كهنته وعلمائه على ما تقدم قالوا له إن غلاماً من بني إسرائيل يفسد ملكك؛ فأخذ بني إسرائيل بذبح الأطفال، فأرى أنه يقطع نسلهم، فعاد يذبح عاماً ويستحي عاماً، فولد هارون في عام الاستحياء، وولد موسى في عام الذبح.

قوله تعالى: «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» هذا ابتداء كلام من الله تعالى؛ أي وهم لا يشعرون أن هلاكهم بسببه. وقيل: هو من كلام المرأة؛ أي وبنو إسرائيل لا يدرون أنا التقطناه، ولا يشعرون إلا أنه ولدنا. واختلف المتأولون في الوقت الذي قالت فيه امرأة فرعون «قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكِ» فقالت فرقة: كان ذلك عند التقاطه التابوت لما أشعرت فرعون به؛ ولما أعلمته سبق إلى فهمه أنه من بني إسرائيل، وأن ذلك قصد به ليتخلص من الذبح فقال: عليّ بالذباحين؛ فقالت امرأته ما ذُكر؛ فقال فرعون: أما لي فلا. قال النبي ﷺ: «لو قال فرعون نعم لآمن بموسى ولكان قرّة عين له»<sup>(٢)</sup> وقال السدي: بل ربّته حتى

(١) عند الآية (١٠).

(٢) وجدته في تفسير الطبري (٢٠ / ٣٥)، وابن أبي حاتم (١١ / ٢٣٩) ورفعه إلى ابن عباس بهذا الإسناد حسن. قلت: وما يؤيد ذلك أنه ضمن حديث الفتون وإن كان الالباني ضعفه كما عند النسائي (١١٣٢٦) في الكبرى.

دَرَجَ، فرأى فرعون فيه شهامة وظنه من بني إسرائيل وأخذته في يده، فمدّ موسى يده وبتفت حية فرعون، فهمّ حينئذ بدبحه (١)، وحينئذ خاطبته بهذا، وجربته له في الياقوتة والجمرة، فاحترق لسانه وعلق العقدة على ما تقدّم في «طه». قال الفراء: سمعت محمد بن مروان الذي يقال له السدي يذكر عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: إنما قالت ﴿فَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾ ثم قالت: ﴿تَقْتُلُونَهُ﴾ (٢) قال الفراء: وهو لحن؛ قال ابن الأنباري: وإنما حكم عليه باللحن؛ لأنه لو كان كذلك لكان تقتلونه بالنون؛ لأن الفعل المستقبل مرفوع حتى يدخل عليه الناصب أو الجازم، فالنون فيه علامة الرفع. قال الفراء: ويقويك على رده قراءة عبد الله بن مسعود «وَقَالَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ لَا تَقْتُلُونَهُ قُرَّةُ عَيْنِي لِي وَلَكَ» بتقديم ﴿وَلَا تَقْتُلُونَهُ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَى فَرِعَاً إِنْ كَادَتْ لِتَبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ قَبَّرْتِ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهَمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿٤﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاسَتْهُ وَأَسْتَوَىٰ ؕ أَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَى فَرِعَاً﴾ قال ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وأبو عمران الجوني وأبو عبيدة: ﴿فَارِعَاً﴾ أي خالياً من ذكر كل شيء في الدنيا إلا من ذكر موسى (٣)؛ وقال الحسن أيضاً وابن إسحاق وابن زيد: ﴿فَارِعَاً﴾ من الوحي (٤)؛ إذ أوحى إليها حين أمرت أن تلقيه في البحر ﴿لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ والعهد الذي عهدته إليها أن يرده ويجعله من المرسلين؛ فقال لها الشيطان: يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فغرقتيه أنت ثم بلغها أن ولدها وقع في يد فرعون فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها. وقال أبو عبيدة: ﴿فَارِعَاً﴾ من الغم والحزن لعلمها أنه لم يغرق؛ وقاله الأخفش أيضاً. وقال العلاء بن زياد: ﴿فَارِعَاً﴾ نافرأ. الكسائي: ناسياً ذاهلاً. وقيل: والهأ (٥)؛ رواه سعيد بن جبيرة. ابن القاسم عن مالك: هو ذهاب العقل؛ والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والدهش، ونحوه

(١) حسن: لكن الخبر بلفظه وجدته منقولاً عن التوراة وقد سبق.

(٢) باطل: السدي كذاب، وأبو صالح اعترف بفرشته على ابن عباس، وراجع: معاني القرآن (٢/ ٣٠٢) للفراء - رحمه الله.

(٣) ضعيف إلى ابن عباس، والضحاك، حسن إلى بقية القائلين: الطبري (٢٠/ ٣٧) في تفسيره.

وانظر لفظ المصنف في: تفسير ابن أبي حاتم (١١/ ٢٤٢).

(٤) كذا عند الطبري في تفسيره من طريق ابن زيد (٢٠/ ٣٧).

(٥) حسن: فهو من طريق سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس - رضي الله عنهما كما في تفسير ابن أبي حاتم (١١/ ٢٤٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] أي جُوف لا عقول لها كما تقدم في سورة «إبراهيم». وذلك أن القلوب مراكز العقول؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦] ويدل عليها قراءة من قرأ: «فَرَعَا». النحاس: أصح هذه الأقوال الأول، والذين قالوه أعلم بكتاب الله عز وجل؛ فإذا كان فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى فهو فارغ من الوحي. وقول أبي عبيدة فارغاً من الغم غلط قبيح؛ لأن بعده ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبَهَا﴾، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كادت تقول والبناء وقرأ فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه ومحمد ابن السَّمِيقِ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وابن محيصن: «فَرَعَا» بالفاء والعين المهملة من الفرع؛ أي خائفة عليه أن يقتل. ابن عباس: «قَرَعَا» بالقاف والراء والعين المهملتين، وهي راجعة إلى قراءة الجماعة «فَارِعَا» ولذلك قيل للرأس الذي لا شعر عليه: أقرع؛ لفراغه من الشعر. وحكى قطرب أن بعض أصحاب النبي ﷺ قرأ: «فَرَعَا» بالفاء والراء والغين المعجمة من غير ألف، وهو كقولك: هدرأ وباطلاً؛ يقال: دماؤهم بينهم فرغ أي هدر؛ والمعنى بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ﴾ وجهان: أحدهما: أنها ألقته ليلاً فأصبح فؤادها في النهار فارغاً. الثاني: أنها ألقته نهاراً ومعنى: ﴿أَصْبَحَ﴾ أي صار؛ كما قال الشاعر:

مضى الخلفاء بالأمر الرشيد وأصبحت المدينة للوليد

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَادَتْ﴾ أي إنها كادت؛ فلما حذفت الكناية سكنت النون. فهي ﴿إِنْ﴾ المخففة ولذلك دخلت اللام في ﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي لتظهر أمره؛ من بدا يبدو إذا ظهر. قال ابن عباس: أي تصيح عند إلقائه والبناء<sup>(١)</sup>. السدي: كادت تقول لما حُمِلَتْ لإرضاعه وحضانه هو ابني<sup>(٢)</sup>. وقيل: إنه لما شَبَّ سمعت الناس يقولون موسى بن فرعون؛ فشق عليها وضاق صدرها، وكادت تقول هو ابني. وقيل: الهاء في ﴿بِهِ﴾ عائدة إلى الوحي تقديره: إن كانت لتبدي بالوحي الذي أوحيناه إليها أن نردّه عليها. والأول أظهر. قال ابن مسعود: كادت تقول أنا أمه<sup>(٣)</sup>. وقال الفراء: إن كادت لتبدي بإسمه لضيق صدرها. ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبَهَا﴾ قال قتادة: بالإيمان<sup>(٤)</sup>. السدي: بالعصمة<sup>(٥)</sup>. وقيل: بالصبر. والربط على القلب: إلهام الصبر. ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي من المصدقين بوعد الله حين قال لها: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾. وقال: ﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾ ولم يقل: لتبديه؛ لأن حروف الصفات قد تزداد في الكلام؛ تقول: أخذت الحبل وبالحبل. وقيل: أي لتبدي القول به.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أي قالت أم موسى لأخت موسى: اتبعي أثره حتى تعلمي خبره. واسمها مريم بنت عمران؛ وافق اسمها اسم مريم أم عيسى عليه السلام؛ ذكره السهيلي والثعلبي. وذكر الماوردي عن الضحاك: أن اسمها كلثمة. وقال السهيلي: كلثوم؛ جاء ذلك في

(١) حسن بمجموع طرقه إلى ابن عباس - رضي الله عنهما: الطبري (٢٠ / ٣٨) في تفسيره من عدة طرق عن ابن عباس، ومن طريق مجاهد، وسعيد بن جبير، وابن أبي حاتم (١١ / ٢٤٣) من طريق عكرمة عنه بسند ضعيف.

(٢) حسن إليه أو صحيح: الطبري (٢٠ / ٣٧) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١١ / ٢٤٤) في تفسيره.

(٣) السابق (٢٠ / ٣٧).

(٤) صحيح إليه: انظر: تفسير الطبري (٢٠ / ٣٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (١١ / ٢٤٤).

(٥) انظر السابق.

حديث رواه الزبير بن بكار أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «أشعرت أن الله زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون» فقالت: الله أخبرك بهذا؟ فقال: «نعم» فقالت: بالرفاء والبنين (١). «فَصُرْتُ بِهِ عَنْ جَنْبِ» أي بعد (٢)؛ قاله مجاهد. ومنه الأجنبي.

قال الشاعر:

فَلَا تَحْرِمْنِي نَائِلًا عَنْ جَنَابِهِ  
فَإِنِّي أَمْرٌ وَسَطَ الْقَبَابِ غَرِيبُ

وأصله عن مكان جنب. وقال ابن عباس: «عَنْ جَنْبِ» أي عن جانب (٣). وقرأ النعمان بن سالم: «عن جانب» أي عن ناحية. وقيل: عن شوق؛ وحكى أبو عمرو بن العلاء أنها لغة لجذام؛ يقولون: جنبت إليك أي اشتقت. وقيل: «عَنْ جَنْبِ» أي عن مجانبة لها منه فلم يعرفوا أنها أمه بسبيل. وقال قتادة: جعلت تنظر إليه بناحية كأنها لا تريده، وكان يقرأ: «عَنْ جَنْبِ» بفتح الجيم وإسكان النون. «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أنها أخته لأنها كانت تمشي على ساحل البحر حتى رأتهم قد أخذوه.

قوله تعالى: «وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ» أي منعناه من الارتضاع من قبل؛ أي من قبل مجيء أمه وأخته. و«الْمَرَاضِعُ» جمع مُرْضِع. ومن قال مرضيع. فهو جمع مِرْضَاع، ومفعال يكون للتكشير، ولا تدخل الهاء فيه فرقاً بين المؤنث والمذكر لأنه ليس بجارٍ على الفعل، ولكن من قال مِرْضَاعَةٌ جاء بالهاء للمبالغة؛ كما يقال مطرابة. قال ابن عباس: لا يؤتى بمِرْضِعٍ فيقبلها. وهذا تحريم منع لا تحريم شرع؛ قال امرؤ القيس:

جَاءَتْ لَتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا أَقْصِرِي  
إِنِّي أَمْرٌ صَرَعِي عَلَيْكَ حَرَامُ

أي ممتنع. فلما رأت أخته ذلك قالت: «فَقَالَتْ هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ» الآية. فقالوا لها عند قولها: «وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» وما يدريك؟ لعلك تعرفين أهله؟ فقالت: لا؛ ولكنهم يحرسون على مسرة الملك، ويرغبون في ظنره (٤). وقال السدي وابن جريج: قيل لها لما قالت: «وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» قد عرفت أهل هذا الصبي فدلينا عليهم؛ فقالت: أردت وهم للملك ناصحون. فدلنتهم على أم موسى، فانطلقت إليها بأمرهم فجاءت بها، والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه، وهو يبكي يطلب الرضاع، فدفعه إليها؛ فلما وجد الصبي ربح أمه قبل ثديها (٥). وقال ابن زيد: استرابوها حين قالت ذلك فقالت: وهم للملك ناصحون. وقيل: إنها لما قالت: «هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ» وكانوا يبالغون في طلب مرضعة يقبل ثديها فقالوا: من هي؟ فقالت أمي؛ فقيل: لها لبن؟ قالت: نعم لبن هارون وكان ولد في سنة لا يقتل فيها الصبيان فقالوا صدقت والله. «وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» أي فيهم شفقة ونصح؛ فروي أنه قيل لأم موسى حين ارتضع منها: كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن، لا أكاد أوتى بصبي إلا ارتضع مني (٦).

(١) ضعيف: الهيثمي (٩/ ٢١٨) في مجمع الزوائد عن أبي رواد.

(٢) صحيح إليه: الطبري (٢٠/ ٤١) في تفسيره.

(٣) حسن: من طريق حديث الفتون، ورواه ابن أبي حاتم (١١/ ٢٤٥) في تفسيره.

(٤) ظنره: مرضعته، وانظر: السابق (١١/ ٢٤٨).

(٥) انظر: الطبري (٢٠/ ٤٢) في تفسيره.

(٦) حسن إليه: انظر: السابق (٢٠/ ٤٢).

قال أبو عمران الجوني: وكان فرعون يعطي أم موسى كل يوم ديناراً<sup>(١)</sup>. قال الزمخشري: فإن قلت كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها؟ قلت: ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع، ولكنه مال حربي تأخذه على وجه الاستباحة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ أي رددناه وقد عطف الله قلب العدو عليه، ووفينا لها بالوعد. ﴿كَيْ تَقْرَ عَيْنَهَا﴾ أي بولدها. ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ أي بفراق ولدها. ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي لتعلم وقوعه فإنها كانت عالمة بأن رده إليها سيكون. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني أكثر آل فرعون لا يعلمون؛ أي كانوا في غفلة عن التقدير وسر القضاء. وقيل: أي أكثر الناس لا يعلمون أن وعد الله في كل ما وعد حق.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قد مضى الكلام في الأشد في «الانعام». وقول ربيعه ومالك: إنه الحلم أولى ما قيل فيه<sup>(٣)</sup>؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦] فإن ذلك أول الأشد، وأقصاه أربع وثلاثون سنة؛ وهو قول سفيان الثوري<sup>(٤)</sup>. «وَاسْتَوَىٰ» قال ابن عباس: بلغ أربعين سنة. والحكم: الحكمة قبل النبوة<sup>(٥)</sup>. وقيل: الفقه في الدين. وقد مضى بيانها في «البقرة» وغيرها. والعلم الفهم في قول السدي<sup>(٦)</sup>. وقيل: النبوة. وقال مجاهد: الفقه. محمد بن إسحاق<sup>(٧)</sup>: أي العلم بما في دينه ودين آبائه؛ وكان له تسعة من بني إسرائيل يسمعون منه، ويقتدون به، ويجمعون إليه، وكان هذا قبل النبوة. «وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» أي كما جزينا أم موسى لما استسلمت لأمر الله، وألقت ولدها في البحر، وصدقت بوعد الله؛ فرددنا ولدها إليها بالتحف والطرف وهي آمنة، ثم وهبنا له العقل والحكمة والنبوة؛ وكذلك نجزي كل محسن.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٢﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَتَمَمْتُ عَلَىٰ فُلَانٍ أَكُونُ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَسُومَسَىٰ أَتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٥﴾﴾

(١) ذكره ابن أبي حاتم (١١ / ٢٤٩) في تفسيره .

قلت : وهل كانت عملتهم الدينار ١٩ .

(٢) الكشاف (٣ / ٥٩) .

(٣) صحيح : ابن أبي حاتم (١١ / ٢٥٠) في تفسيره .

(٤) حسن إليه : السابق (١١ / ٢٥٠) .

(٥) حسن إليه بمجموع طرقه : السابق (١١ / ٢٥٠) .

(٦ ، ٧) الطبري في تفسيره (٢٠ / ١٤٤) وقد سبق ذلك كله .

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: لما عرف موسى عليه السلام ما هو عليه من الحق في دينه، عاب ما عليه قوم فرعون؛ وفشا ذلك منه فأخافوه فخافهم، فكان لا يدخل مدينة فرعون إلا خائفاً مستخفياً. وقال السدي (١): كان موسى في وقت هذه القصة على رسم التعلق بفرعون، وكان يركب مراكبه، حتى كان يدعى موسى ابن فرعون؛ فركب فرعون يوماً وسار إلى مدينة من مدائن مصر يقال لها منف قال مقاتل على رأس فرسخين من مصر ثم علم موسى بركوب فرعون، فركب بعده ولحق بتلك القرية في وقت القائلة، وهو وقت الغفلة؛ قاله ابن عباس. وقال أيضاً: هو بين العشاء والعتمّة (٢). وقال ابن إسحاق: بل المدينة مصر نفسها.

وكان موسى في هذا الوقت قد أظهر خلاف فرعون، وعاب عليهم عبادة فرعون والأصنام، فدخل مدينة فرعون يوماً على حين غفلة من أهلها (٣). قال سعيد بن جبيرة وقادة: وقت الظهيرة والناس نيام (٤). وقال ابن زيد: كان فرعون قد نابذ موسى وأخرجه من المدينة، وغاب عنها سنين، وجاء والناس على غفلة بنسيانهم لأمره، وبعُد عهدهم به، وكان ذلك يوم عيد (٥). وقال الضحاك: طلب أن يدخل المدينة وقت غفلة أهلها، فدخلها حين علم ذلك منهم، فكان منه من قتل الرجل من قبل أن يؤمر بقتله، فاستغفر ربه فغفر له. ويقال في الكلام: دخلت المدينة حين غفل أهلها، ولا يقال: على حين غفل أهلها؛ فدخلت ﴿عَلَىٰ﴾ في هذه الآية لأن الغفلة هي المقصودة؛ فصار هذا كما تقول: جئت على غفلة، وإن شئت قلت: جئت على حين غفلة، وكذا الآية.

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتُلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَالْمَعْنَى؛ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمَا النَّازِرُ قَالَ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ؛ أَي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أَي مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ. ﴿فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أَي طَلَبَ نَصْرَهُ وَغَوْثَهُ، وَكَذَا قَالَ فِي الْآيَةِ بَعْدَهَا: ﴿فَإِذَا الَّذِي ائْتَصَرَ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ أَي يَسْتَعِيثُ بِهِ عَلَى قِبْطِيٍّ آخَرَ. وَإِنَّمَا أَغَاثَهُ لِأَنَّ نَصْرَ الْمَظْلُومِ دِينٌ فِي الْمَلَلِ كُلِّهَا عَلَى الْأُمَّمِ، وَفَرَضَ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ. قَالَ قَتَادَةَ: أَرَادَ الْقِبْطِيُّ أَنَّ يُسَخَّرَ الْإِسْرَائِيلِيَّ لِيَحْمَلَ حَطْبًا لِمَطْبِخِ فِرْعَوْنَ فَابَى عَلَيْهِ، فَاسْتَعَاثَ بِمُوسَى (٦). قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبِيرٍ: وَكَانَ خَبَازًا لِفِرْعَوْنَ (٧). ﴿فَوَكَّرَهُ مُوسَى﴾ قَالَ قَتَادَةَ: بَعِصَاهُ (٨). وَقَالَ مَجَاهِدٌ: بِكَفِّهِ (٩)؛ أَي دَفَعَهُ. وَالْوَكَّرَ وَاللَّكَّرَ وَاللَّهَزَ وَاللَّهْدَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ الضَّرْبُ بِجُمُوعِ الْكَفِّ مَجْمُوعًا كَعَقْدِ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ. وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «فَلَكَّرَهُ». وَقِيلَ: اللَّكَّرُ فِي اللَّحَى وَالْوَكْرُ عَلَى الْقَلْبِ. وَحَكَى الثَّعْلَبِيُّ أَنَّ فِي مَصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ «فَنَكَّرَهُ» بِالنُّونِ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ عَنْ أَبِي عَيْسَةَ: اللَّكَّرُ الضَّرْبُ بِالْجُمُوعِ عَلَى الصَّدْرِ. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: فِي

(١) حسن: وقد سبق، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١١/ ٢٥٢)، وهو صحيح إلى ابن عباس.

(٢) ضعيف: الطبري (٢٠/ ٤٥) في تفسيره، عن عطاء الخراساني.

(٣) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٥).

(٤، ٥) مرسلان: وفي الإسناد إلى ابن جبيرة الأعمش وهو مدلس، وانظر: الطبري (٢٠/ ٤٦) في تفسيره.

(٦) ذكره البغوي (٦/ ١٩٧) دون عزو لقتادة - رحمه الله، وانظر: النكت والعيون (٣/ ٢٢١).

(٧) فيه الأعمش، عن سعيد بن جبيرة، والأعمش مدلس: ابن أبي حاتم (١١/ ٢٢٥) في تفسيره.

(٨، ٩) صحيحان: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧)، وابن أبي حاتم (١١/ ٢٥٥) في تفسيره.

جميع الجسد، واللهمز: الضرب بجُمع اليد في الصدر مثل اللكز؛ عن أبي عبيدة أيضاً. وقال أبو زيد: هو بالجُمع في اللهازم والرقبة؛ والرجل ملهزم بكسر الميم. وقال الأصمعي: نكزه؛ أي ضربه ودفعه. الكسائي: نهزه مثل نكزه ووكزه، أي ضربه ودفعه. ولَهْدَه لَهْدًا أي دفعه لذلك فهو ملهود؛ وكذلك لَهْدَه؛ قال طرفة يذم رجلاً:

بطيء عن الداعي سريع إلى الخنا ذلول بأجماع الرجال ملهد

أي مُدْفَع وإنما شدد للكثرة. وقالت عائشة رضي الله عنها: فلهدني تعني النبي ﷺ لهدته أوجعني؛ خرجه مسلم<sup>(١)</sup>. ففعل موسى عليه السلام ذلك وهو لا يريد قتله، إنما قصد دفعه فكانت فيه نفسه، وهو معنى: ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾. وكل شيء أتيت عليه وفرغت منه فقد قضيت عليه. قال جرير:

قَدْ عَصَهُ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ الْأَشْجُعُ

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي من إغوائه. قال الحسن: لم يكن يحلّ قتل الكافر يومئذ في تلك الحال؛ لأنها كانت حال كف عن القتال. ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ خبر بعد خبر. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ ندم موسى عليه السلام على ذلك الوكز الذي كان فيه ذهاب النفس، فحملة ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه. قال قتادة: عرف والله المخرج فاستغفر؛ ثم لم يزل ﷺ يعدد ذلك على نفسه، مع علمه بأنه قد غفر له، حتى أنه في القيامة يقول: إني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها. وإنما عدده على نفسه ذنباً<sup>(٢)</sup>. وقال: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر، وأيضاً فإن الأنبياء يشفقون بما لا يشفق منه غيرهم. قال النقاش: لم يقتله عن عمد مريداً للقتل، وإنما وكزه وكزه يريد بها دفع ظلمه. قال وقد قيل: إن هذا كان قبل النبوة. وقال كعب: كان إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة، وكان قتله مع ذلك خطأ؛ فإن الوكزة واللكزة في الغالب لا تقتل<sup>(٣)</sup>. وروى مسلم عن سالم بن عبد الله أنه قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة، وأركبكم للكبيرة سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الفتنة تحيي من هاهنا» وأوماً بيده نحو المشرق «من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم بعضكم يضرب رقاب بعض وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله عز وجل: ﴿وَقَتَلْنَا نَفْسًا فَجَدَيْنَاكَ مِنَ الْعَمِّ وَقَتَلْنَاكَ قَتْلًا﴾ [طه: ٤٠] (٤).

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾.

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ أي من المعرفة والحكم والتوحيد ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي عوناً للكافرين. قال القشيري: ولم يقل بما أنعمت علي من المغفرة؛ لأن هذا قبل

(١) صحيح: مسلم (٩٧٤ / ١٠٢) في الجنائز ضمن حديث طويل، عن عطاء بن يسار، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح إليه: الطبري (٢٠ / ٤٨) في تفسيره.

(٣) خبر كعب من الإسراييليات التي لا تصدق ولا تكذب، وقوله: (ابن اثني عشرة سنة) دليل على فساد هذه الرواية التي تخالف ما ذكره الله تعالى إذ قال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾.

(٤) صحيح: مسلم (٢٩٠٥) في الفتن وأشرط الساعة.

الوحي، وما كان عالماً بأن الله غفر له ذلك القتل. وقال الماوردي: ﴿بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ فيه وجهان: أحدهما: من المغفرة؛ وكذلك ذكر المهدي والثعلبي. قال المهدي: ﴿بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ من المغفرة فلم تعاقبني. الوجه الثاني: من الهداية.

قلت: قوله ﴿فَغَفَّرَ لَهُ﴾ يدل على المغفرة؛ والله أعلم.

قال الزمخشري قوله تعالى: ﴿بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة لا توبين ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ وأن يكون استعطافاً كأنه قال: رب اعصمني بحق ما أنعمت عليّ من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين. وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملة. وتكثير سواده. حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد، وكان يسمى ابن فرعون؛ وإما بمظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم، كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحلّ له قتله. وقيل: أراد إني وإن أسأت في هذا القتل الذي لم أؤمر به فلا أترك نصرة المسلمين على المجرمين، فعلى هذا كان الإسرائيلي مؤمناً ونصرة المؤمن واجبة في جميع الشرائع. وقيل في بعض الروايات: إن ذلك الإسرائيلي كان كافراً، وإنما قيل له إنه من شيعته لأنه كان إسرائيلياً ولم يرد الموافقة في الدين، فعلى هذا ندم لأنه أعان كافراً على كافر، فقال: لا أكون بعدها ظهيراً للكافرين. وقيل: ليس هذا خبراً بل هو دعاء؛ أي فلا أكون بعد هذا ظهيراً؛ أي فلا تجعلني يا رب ظهيراً للمجرمين. وقال الفراء: المعنى؛ اللهم فلن أكون ظهيراً للمجرمين؛ وزعم أن قوله هذا قول ابن عباس. قال النحاس: وأن يكون بمعنى الخبر أولى وأشبه بنسق الكلام؛ كما يقال: لا أعصيك لأنك أنعمت عليّ؛ وهذا قول ابن عباس على الحقيقة لا ما حكاه الفراء؛ لأن ابن عباس قال: لم يستثن فابتلي من ثاني يوم<sup>(١)</sup>؛ والاستثناء لا يكون في الدعاء، لا يقال: اللهم اغفر لي إن شئت؛ وأعجب الأشياء أن الفراء روى عن ابن عباس هذا ثم حكى عنه قوله.

قلت: قد مضى هذا المعنى ملخصاً مبيناً في سورة «النمل» وأنه خبر لا دعاء. وعن ابن عباس: لم يستثن فابتلي به مرة أخرى؛ يعني لم يقل فلن أكون إن شاء الله. وهذا نحو قوله: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٣].

الثانية: قال سلمة بن نبيب: بعث عبد الرحمن بن مسلم إلى الضحاك بعهاء أهل بخارى وقال: أعطهم؛ فقال: اعفني؛ فلم يزل يستعفيه حتى أعفاه. فقيل له ما عليك أن تعطيهم وأنت لا ترزؤهم شيئاً؟ وقال: لا أحب أن أعين الظلمة على شيء من أمرهم. وقال عبيد الله بن الوليد الوصافي قلت لعهاء بن أبي رباح: إن لي أخاً يأخذ بقلمه، وإنما يحسب ما يدخل ويخرج، وله عيال ولو ترك ذلك لاحتاج وأدان؟ فقال: من الرأس؟ قلت: خالد بن عبد الله القسري؛ قال: أما قرأ ما قال العبد الصالح: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> قال ابن عباس: فلم يستثن فابتلي به ثانية فأعانه الله<sup>(٣)</sup>، فلا يعينهم أخوك فإن الله يعينه قال عطاء: فلا يحلّ لأحد أن يعين ظالماً ولا يكتب له

(١) ذكره البخاري (٦/ ١٩٨) في تفسيره معلقاً غير مسند.

(٢) ضعيف: ابن أبي حاتم (١١/ ٢٥٨) في تفسيره والوصافي: ضعفه.

(٣) سبق تخريجه.

ولا يصحبه، وأنه إن فعل شيئاً من ذلك فقد صار معيناً للظالمين. وفي الحديث: «ينادي مناد يوم القيامة: أين الظلّمة وأشباها الظلّمة وأعوان الظلّمة حتى من لاقَ لهم دَوَاةٌ أو برى لهم قلماً فيُجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم» (١). ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «من مشى مع مظلوم ليعينه على مظلمته، ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة يوم تزل فيه الأقدام ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزلّ الله قدميه على الصراط يوم تَدَحَّضُ فيه الأقدام» (٢). وفي الحديث: «من مشى مع ظالم فقد أجرم» (٣) فالمشي مع الظالم لا يكون جرماً إلا إذا مشى معه ليعينه، لأنه ارتكب نهي الله تعالى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً﴾ قد تقدم في «طه» وغيرها أن الأنبياء صلوات الله عليهم يخافون؛ رداً على من قال غير ذلك، وأن الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل عليه؛ فقيل: أصبح خائفاً من قتل النفس أن يؤخذ بها (٤). وقيل: خائفاً من قومه أن يسلموه. وقيل: خائفاً من الله تعالى. «يَتَرَقَّبُ» قال سعيد بن جبير: يتلفت من الخوف (٥). وقيل: ينتظر الطلب؛ ويتنظر ما يتحدث به الناس. وقال قتادة: «يَتَرَقَّبُ» أي يتربص الطلب (٦). وقيل: خرج يستخبر الخبر ولم يكن أحد علم بقتل القبطي غير الإسرائيلي. و«أَصْبَحَ» يحتمل أن يكون بمعنى صار؛ أي لما قتل صار خائفاً. ويحتمل أن يكون دخل في الصباح؛ أي في صباح اليوم الذي يلي يومه. و«خَائِفاً» منصوب على أنه خبر «أصبح»، وإن شئت على الحال، ويكون الظرف في موضع الخبر. ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ أي فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي خلّصه بالأمس يقاتل قبلياً آخر أراد أن يسخره. والاستصراخ الاستغاثة. وهو من الصراخ؛ وذلك لأن المستغيث يصرخ ويصوت في طلب العوّث. قال [سلامة بن جندل]:

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَرَعٌ      كَانِ الصُّرَاخُ لَهُ قَرَعَ الظَّنَائِبِ

قيل: كان هذا الإسرائيلي المستصصر السامري استسخره طباخ فرعون في حمل الحطب إلى المطبخ؛ ذكره القشيري. و«الَّذِي» رفع بالابتداء و«يَسْتَصْرِخُهُ» في موضع الخبر. ويجوز أن يكون في موضع نصب على الحال. وأمس لليوم الذي قبل يومك، وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين، فإذا دخله الألف واللام أو الإضافة تمكن فأعرب بالرفع والفتح عند أكثر النحويين. ومنهم من بينه وفيه الألف واللام. وحكى سيبويه وغيره أن من العرب من يجري أمس مجرى ما لا ينصرف في موضع الرفع خاصة، وربما اضطر الشاعر ففعل هذا في الخفض والنصب؛ قال الشاعر:

لقد رأيتُ عجباً مُدُّ أَمْسَا

فخفض بمذ ما مضى واللغة الجيدة الرفع، فأجرى أمس في الخفض مجراه في الرفع على اللغة

- (١) ضعيف: أوردته الذهبي (ص ٢٨٠) في الكيثر مقطوعاً على مكحول.  
 (٢) ضعيفان جداً: وطرف الأول عند الدليمي (٥٧٠)، عن معاذ، والثاني (٥٧٠٩) وضعفه الألباني جداً في الضعيفة (٧٥٨)، عن أوس بن شرحبيل مرسلأ بنحوه.  
 (٣) حسن من قول ابن عباس رضي الله عنهما: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١١/ ٢٥٩).  
 (٤) فيه الأعمش وعنته وهو مدلس: تفسير ابن أبي حاتم (١١/ ٢٦٠).  
 (٥) صحيح إليه: ابن أبي حاتم (١١/ ٢٦٠) في تفسيره، والطبري (٢٠/ ٤٩) في تفسيره.

الثانية. ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ﴾ والغوي الخائب؛ أي لأنك تشاد من لا تطيقه. وقيل: مضل بين الضلالة؛ قتلت بسبيك أمس رجلاً، وتدعوني اليوم لآخر. والغوي فعيل من أغوى يغوي، وهو بمعنى مغر؛ وهو كالوجيع والاليم بمعنى الموجه والمؤلم. وقيل: الغوي بمعنى الغاوي. أي إنك لغوي في قتال من لا تطيق دفع شره عنك. وقال الحسن<sup>(١)</sup>: إنما قال للقبطي: ﴿إِنَّكَ لَغَوِي مُبِينٌ﴾ في استسخار هذا الإسرائيلي وهم أن يبطش به. يقال: بَطَشَ يَبْطِشُ وَيَبْطِشُ والضم أقيس لأنه فعل لا يتعدى. ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي﴾ قال ابن جرير. أراد موسى أن يبطش بالقبطي فتوهم الإسرائيلي أنه يريد؛ لأنه أغلظ له في القول؛ فقال: ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي﴾ فسمع القبطي الكلام فأنشاه<sup>(٢)</sup>. وقيل: أراد أن يبطش الإسرائيلي بالقبطي فنهاه موسى فخاف منه؛ فقال: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾. «إِنْ تُرِيدُ» أي ما تريد. «إِلَّا أَنْ تَكُونَ جِبَارًا فِي الْأَرْضِ» أي قتالاً؛ قال عكرمة والشعبي: لا يكون الإنسان جباراً حتى يقتل نفسين بغير حق<sup>(٣)</sup>. «وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ» أي من الذين يصلحون بين الناس.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ قال أكثر أهل التفسير: هذا الرجل هو حزقييل بن صبورا مؤمن آل فرعون، وكان ابن عم فرعون<sup>(٤)</sup>؛ ذكره الثعلبي. وقيل: طلوت؛ ذكره السهلي. وقال المهدي عن قتادة: شمعون مؤمن آل فرعون<sup>(٥)</sup>. وقيل: شمعان<sup>(٦)</sup>؛ قال الدارقطني: لا يعرف شمعان بالشين المعجمة إلا مؤمن آل فرعون. وروي أن فرعون أمر بقتل موسى فسبق ذلك الرجل بالخبر؛ فـ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ أي يتشاورون في قتلك بالقبطي الذي قتله بالأمس. وقيل: يأمر بعضهم بعضاً. قال الأزهري: اتسمر القوم وتآمروا أي أمر بعضهم بعضاً؛ نظيره قوله: ﴿وَاتَمَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٦] وقال النمر بن تولب:

أرى الناس قد أحدثوا شيمةً وفي كل حادثة يؤتمروا

﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فخرج منها خائفاً يترقب﴾ أي ينتظر الطلب. ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وقيل: الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم، لا ينظر في العواقب، ولا يدفع بالتي هي أحسن. وقيل: المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله تعالى.

(١) انظر: البغوي (٦/ ١٩٨) في تفسيره غير مسند.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم (١١/ ٢٦١) في تفسيره، عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس ضمن حديث الفتون.

(٣) حسن إليهما: الطبري (٢٠/ ٥١) في تفسيره.

قلت: ولم يصرح القرآن بأن المتحدث هو الإسرائيلي إنما سمع المصري الحديث بين موسى والإسرائيلي فوصله بحادثة القتل ففهم أن لموسى علاقة بالقتل والقتيل، والله أعلم.

(٤ - ٦) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٢٣)، والمحزر الوجيز (١٢/ ١٥٥).



وقد تقدّمت هذه المعاني في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مریم: ٧١]. ومدين لا تنصرف إذ هي بلدة معروفة.

قال الشاعر:

رُهْبَانُ مَدِينٍ لَوْ رَأَوْكَ تَنَزَّلُوا      وَالْعَصْمُ مِنْ شَعَفِ الْجِبَالِ الْفَادِرِ

وقيل: قبيلة من ولد مدين بن إبراهيم؛ وقد مضى القول فيه في «الأعراف». والأمة: الجمع الكثير. و«يَسْقُونَ» معناه ما شيتهم. و«مِنْ دُونِهِمْ» معناه ناحية إلى الجهة التي جاء منها، فوصل إلى المرأتين قبل وصوله إلى الأمة، ووجدتهما تذودان ومعناه تمنعان وتجبسان، ومنه قوله عليه السلام: «فَلْيُذَادَنَّ رَجَالٌ عَنْ حَوْضِي»<sup>(١)</sup> وفي بعض المصاحف: «امرأتين حابستين تذودان» يقال: ذاد يذود إذا حبس. وذدت الشيء حبسته؛ قال الشاعر:

أَبَيْتَ عَلَى بَابِ الْقَوَافِي كَأَنَّمَا      أَذُودُ بِهَا سِرْبًا مِنَ الْوَحْشِ نُرْعَا

أي أحبس وأمنع. وقيل: «تَذُودَان» تطردان؛ قال [جرير]:

لَقَدْ سَلَبْتُ عَصَاكَ بَنُو تَمِيمٍ      فَمَا تَدْرِي بِأَيِّ عَصَا تَذُودُ

أي تطرد وتكفّ وتمنع. ابن سلام: تمنعان غنمهما لثلا تختلط بغنم الناس؛ فحذف المفعول: إما إيهاماً على المخاطب، وإما استغناء بعلمه. قال ابن عباس: تذودان غنمهما<sup>(٢)</sup> عن الماء خوفاً من السقاة الأقوياء<sup>(٣)</sup>. قتادة: تذودان الناس عن غنمهما؛ قال النحاس: والأول أولى؛ لأن بعده «قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ» ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس لم تخبرا عن سبب تأخير سقيهما حتى يصدر الرعاء. فلما رأى موسى عليه السلام ذلك منهما «قَالَ مَا خَطْبُكُمَا» أي شأنكما؛ قال رؤبة:

يَا عَجَبًا مَا خَطْبُهُ وَخَطْبِي

ابن عطية: وكان استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مصاب، أو مضطهد، أو من يشفق عليه، أو يأتي بمنكر من الأمر، فكانه بالجملة في شر؛ فأخبرته بخبرهما، وأن أباهما شيخ كبير؛ فالمعنى: لا يستطيع لضعفه أن يباشر أمر غنمه، وأنهما لضعفهما وقلة طاقتهما لا تقدران على مزاحمة الأقوياء، وأن عادتهما التآتي حتى يُصدر الناسُ عن الماء ويخلى؛ وحيث تَرَدَان. وقرأ ابن عامر وأبو عمرو: «يَصْدُرُ»<sup>(٤)</sup> من صَدَرَ، وهو ضد وردّ أي يرجع الرعاء. والباقون «يُصْدِرُ» بضم الياء من أصدر؛ أي حتى يصدروا مواشيهم من وِردهم. والرعاء جمع راع؛ مثل تاجر وتجار، وصاحب وصحاب. قالت فرقة: كانت الأبار مكشوفة، وكان زحم الناس يمنعهما، فلما أراد موسى أن يسقي لهما زحم الناس وغلبيهم على الماء حتى سقى، فعن هذا الغلب الذي كان منه وصفته إحداهما بالقوة. وقالت فرقة: إنهما كانتا تتبعان فضالتهم في الصهاريج، فإن وجدتا في الحوض بقية كان ذلك سقيهما، وإن لم يكن فيه بقية عطشت غنهما، فرق لهما موسى، فعمد إلى بثر كانت مغطاة والناس

(١) صحيح: وقد سبق.

(٢) حسن: من طريق حديث الفتون، ومنقطع من طريق علي بن أبي طلحة. الطبري (٢٠ / ٥٧) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١١ / ٢٦٩) في تفسيره.

(٣) صحيح إليه: الطبري (٢٠ / ٥٧) في تفسيره.

(٤) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٥٦).

يسقون من غيرها، وكان حَجَرُهَا لا يرفعه إلا سبعة، قاله ابن زيد. ابن جريج: عشرة. ابن عباس: ثلاثون. الزجاج: أربعون؛ فرفسه. وسقى للمراتين؛ فعن رفع الصخرة وصفته بالقوة. وقيل: إن برهم كانت واحدة، وأنه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة، إذا كانت عادة المرأتين شرب الفضلات. روى عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب أنه قال: لما استقى الرعاة غطوا على البئر صخرة لا يقلعها إلا عشرة رجال، فجاء موسى فاقتلها واستقى ذنوباً واحداً لم تحتج إلى غيره فسقى لهما (١).

الثانية: إن قيل كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام أن يرضى لابنته بسقي الماشية؟ قيل له: ليس ذلك بمحظور والدين لا يابأه؛ وأما المروءة فالتناس مختلفون في ذلك، والعادة متباينة فيه، وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم، ومذهب أهل البدو غير مذهب الحضرة، خصوصاً إذا كانت الحالة حالة ضرورة.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ إلى ظل سمره؛ قاله ابن مسعود. وتعرض لسؤال ما يطعمه بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وكان لم يذق طعاماً سبعة أيام، وقد لصق بطنه بظهره؛ فعرض بالدعاء ولم يصرح بسؤال؛ هكذا روى جميع المفسرين أنه طلب في هذا الكلام ما يأكله؛ فالخير يكون بمعنى الطعام كما في هذه الآية، ويكون بمعنى المال كما قال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] ويكون بمعنى القوة كما قال: ﴿أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُعْبَعُ﴾ [الدخان: ٣٧] ويكون بمعنى العبادة كقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٧٣] قال ابن عباس: وكان قد بلغ به الجوع، واخضر لونه من أكل البقل في بطنه، وإنه لأكرم الخلق على الله (٢). ويروى أنه لم يصل إلى مدين حتى سقط باطن قدميه. وفي هذا معتبر وإشعار بهوان الدنيا على الله. وقال أبو بكر بن طاهر في قوله: ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أي إني لما أنزلت من فضلك وغناك فقير إلى أن تغنيني بك عن سواك.

قلت: ما ذكره أهل التفسير أولى؛ فإن الله تعالى إنما أغناه بواسطة شعيب.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ في هذا الكلام اختصار يدل عليه هذا الظاهر؛ فذره ابن إسحاق: فذهبتا إلى أبيهما سريعتين، وكانت عادتهما الإبطاء في السقي، فحدثاه بما كان من الرجل الذي سقى لهما، فأمر الكبرى من بنته وقيل الصغرى أن تدعوه له، ﴿فَجَاءَتْ﴾ على ما في هذه الآية. قال عمرو بن ميمون: ولم تكن سلقاً (٣) من النساء، خراجة ولأجة (٤). وقيل: جاءت سائرة وجهها بكم درعها (٥)؛ قاله عمر بن الخطاب. وروي أن اسم إحداهما ليا وإلخري صفوريا ابتا يثرون، ويثرون هو شعيب عليه السلام. وقيل: ابن أخي شعيب (٦)، وأن

(١) إسناده رجاله ثقات: تفسير ابن أبي حاتم (١١ / ٢٧٢)، ورواه ابن أبي شيبة (٦ / ٣٣٤) في المصنف، وعزاه السيوطي (٥ / ٢٣٧) في الدر لعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم وصححه.

(٢) حسن: الطبري (٢٠ / ٦٠) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١١ / ٢٧٠) في تفسيره.

(٣) السلفع: الجريشة من النساء على الرجال. النهاية (٢ / ٣٩٠) لابن الأثير.

(٤) ولأجة: كثيرة اللولج والخروج. اللسان «ولج».

(٥) صحيح إلى عمر وإلى عمرو بن ميمون: الطبري (٢٠ / ٦٢) في تفسيره، وصححه ابن كثير (٥ / ١٠٩) في تفسيره إلى عمر - رضي الله عنه.

(٦) لم يثبت أنه شعيب عليه السلام واسم البنتين من طريق شعيب الجبائي وهو كذاب، كما في تفسير الطبري =

شعياً كان قد مات. وأكثر الناس على أنهما ابنتا شعيب عليه السلام، وهو ظاهر القرآن<sup>(١)</sup>، قال الله تعالى: ﴿وإلى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥] كذا في سورة «الأعراف» وفي سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧] قال قتادة: بعث الله تعالى شعياً إلى أصحاب الأيكة وأصحاب مدين. وقد مضى في «الأعراف» الخلاف في اسم أبيه. فروي أن موسى عليه السلام لما جاءته بالرسالة قام يتبعها، وكان بين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال، فهبت ريح فضمت قميصها فوصفت عجيزتها، فتحرّج موسى من النظر إليها فقال: ارجعي خلفي وأرشديني إلى الطريق بصوتك. وقيل: إن موسى قال ابتداء: كوني ورائي فلما رجع رجل عبراني لا أنظر في أدبار النساء، ودلّيني على الطريق يميناً أو يساراً<sup>(٢)</sup>؛ فذلك سبب وصفها له بالأمانة؛ قاله ابن عباس. فوصل موسى إلى داعيه فقص عليه أمره من أوله إلى آخره فأنسه بقوله: ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وكانت مدين خارجة عن مملكة فرعون. وقرب إليه طعاماً فقال موسى: لا أكل؛ إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهباً؛ فقال شعيب: ليس هذا عوض السقي، ولكن عادتي وعادة آبائي قرى الضيف، وإطعام الطعام؛ فحينئذ أكل موسى.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ دليل على أن الإجارة كانت عندهم مشروعة معلومة، وكذلك كانت في كل ملة، وهي من ضرورة الخليفة، ومصلحة الخلطة بين الناس؛ خلافاً للأصم حيث كان عن سماعها أصم.

السادسة: قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ﴾ الآية. فيه عرض الوليّ بنته على الرجل؛ وهذه ستة قائمة؛ عرض صالح مدين ابنته على صالح بن إسرائيل، وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان، وعرضت الموهوبة نفسها على النبي ﷺ؛ فمن الحسن عرض الرجل وليته، والمرأة نفسها على الرجل الصالح، اقتداء بالسلف الصالح. قال ابن عمر: لما تأيمت حفصة قال عمر لعثمان: إن شئت أنكحك حفصة بنت عمر<sup>(٣)</sup>؛ الحديث انفرد بإخراجه البخاري.

السابعة: وفي هذه الآية دليل على أن النكاح إلى الوليّ لا حظ للمرأة فيه؛ لأن صالح مدين تولاه، وبه قال فقهاء الأمصار، وخالف في ذلك أبو حنيفة. وقد مضى.

الثامنة: هذه الآية تدلّ على أن للأب أن يزوّج ابنته البكر البالغ من غير استثمار، وبه قال مالك واحتج بهذه الآية، وهو ظاهر قسوي في الباب، واحتججها بها يدلّ على أنه كان يعول على الإسرائيليات؛ كما تقدّم. ويقول مالك في هذه المسألة قال الشافعي وكثير من العلماء. وقال أبو حنيفة: إذا بلغت الصغيرة فلا يزوّجها أحد إلا برضاها؛ لأنها بلغت حدّ التكليف؛ فأما إذا كانت صغيرة فإنه يزوّجها بغير رضاها لأنه لا إذن لها ولا رضا؛ بغير خلاف.

= (٢٠ / ٦٣، ٦٤)، (ويثرون). صرح به ابن عباس بسند صحيح إليه كما في السلي، وعن أبي عبيدة بن

عتبة بسند صحيح كما في السابق، وفي تفسير ابن أبي حاتم (١١ / ٢٧٥).

(١) لم يصح هذا فالفترة الزمنية بعيدة بين النبيين الكريمين، ثم لم يصرح القرآن الكريم بأنه شعيب عليه السلام، وراجع تفسير ابن كثير (٥ / ١١٠).

(٢) حسن: الطبري (٢٠ / ٦٥) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١١ / ٢٧٧) في تفسيره.

(٣) صحيح: البخاري (٥٠٠٥) في المغازي.

التاسعة: استدلت أصحاب الشافعي بقوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَنْكَحَكَ﴾ على أن النكاح موقوف على لفظ التزويج والإنكاح. وبه قال ربيعة وأبو ثور وأبو عبيد وداود ومالك على اختلاف عنه. وقال علماؤنا في المشهور: ينعقد النكاح بكل لفظ. وقال أبو حنيفة: ينعقد بكل لفظ يقتضي التمليك على التأييد؛ أما الشافعية فلا حجة لهم في الآية لأنه شرع من قبلنا وهم لا يرونه حجة في شيء في المشهور عندهم. وأما أبو حنيفة وأصحابه والثوري والحسن بن حي فقالوا: ينعقد النكاح بلفظ الهبة وغيره إذا كان قد أشهد عليه؛ لأن الطلاق يقع بالصريح والكناية، قالوا: فكذلك النكاح. قالوا: والذي خص به النبي ﷺ تعري البضع من العوض لا النكاح بلفظ الهبة، وتابعهم ابن القاسم فقال: إن وهب ابنته وهو يريد إنكاحها فلا أحفظ عن مالك فيه شيئاً، وهو عندي جائز كالبيع. قال أبو عمر: الصحيح أنه لا ينعقد نكاح بلفظ الهبة، كما لا ينعقد بلفظ النكاح هبة شيء من الأموال. وأيضاً فإن النكاح مفتقر إلى التصريح لتقع الشهادة عليه، وهو ضد الطلاق فكيف يقاس عليه وقد أجمعوا أن النكاح لا ينعقد بقوله: أبحت لك وأحللت لك فكذلك الهبة. وقال ﷺ: «استحللتم فروجهن بكلمة الله»<sup>(١)</sup> يعني القرآن، وليس في القرآن عقد النكاح بلفظ الهبة، وإنما فيه التزويج والنكاح، وفي إجازة النكاح بلفظ الهبة إبطال بعض خصوصية النبي ﷺ.

العاشرة: قوله تعالى: ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ يدل على أنه عرض لا عقد؛ لأنه لو كان عقداً عين المعقود عليها له؛ لأن العلماء وإن كانوا قد اختلفوا في جواز البيع إذا قال: بعتك أحد عبيدي هذين بثمان كذا؛ فإنهم اتفقوا على أن ذلك لا يجوز في النكاح؛ لأنه خيار وشيء من الخيار لا يلصق بالنكاح.

الحادية عشرة: قال مكي: في هذه الآية خصائص في النكاح؛ منها أنه لم يعين الزوجة ولا حد أول الأمد، وجعل المهر إجارة، ودخل ولم ينقد شيئاً. قلت: فهذه أربع مسائل تضمنتها المسألة الحادية عشرة:

الأولى: من الأربع مسائل، قال علماؤنا: أما التعيين فيشبه أنه كان في ثاني حال المروضة، وإنما عرض الأمر مجملاً، وعين بعد ذلك. وقد قيل: إنه زوجة صفوريا وهي الصغرى. يروى عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إن سئلت أي الأجلين قضى موسى فقل خيرهما وأوفاهما وإن سئلت: أي المرأتين تزوج؟ فقل الصغرى وهي التي جاءت خلفه وهي التي قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾»<sup>(٢)</sup>. قيل: إن الحكمة في تزويجه الصغرى منه قبل الكبرى وإن كانت الكبرى أحوج إلى الرجال أنه توقع أن يميل إليها؛ لأنه رآها في رسالته، وماشاه في إقباله إلى أبيها معها، فلو عرض عليه الكبرى ربما أظهر له الاختيار وهو يضمم غيره. وقيل غير هذا؛ والله أعلم. وفي بعض الأخبار أنه تزوج بالكبرى؛ حكاها القشيري.

الثانية: وأما ذكر أول المدّة فليس في الآية ما يقتضي إسقاطه بل هو مسكوت عنه؛ فلما رسماه، وإلا فهو من أول وقت العقد.

(١) صحيح: وقد سبق.

(٢) ضعيف: ابن أبي حاتم (١١/ ٢٧٦) في تفسيره وفيه أبو هشام الوليد بن شجاع بن أبي بدر، ثقة يفرّب.

الثالثة: وأما النكاح بالإجارة فظاهر من الآية، وهو أمر قد قرره شرعنا، وجرى في حديث الذي لم يكن عنده إلا شيء من القرآن؛ رواه الأئمة؛ وفي بعض طرقه: فقال له رسول الله ﷺ: «ما تحفظ من القرآن» فقال: سورة البقرة والتي تليها؛ قال: «فعلما عشرين آية وهي امراتك»<sup>(١)</sup>. واختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال: فكرهه مالك، ومنعه ابن القاسم، وأجازه ابن حبيب؛ وهو قول الشافعي وأصحابه؛ قالوا: يجوز أن تكون منفعة الحرّ صداقاً كالخياطة والبناء وتعليم القرآن. وقال أبو حنيفة: لا يصح؛ وجوز أن يتزوجها بأن يخدمها عبده سنة، أو يسكنها داره سنة؛ لأن العبد والدار مال، وليس خدمتها بنفسه مالاً. وقال أبو الحسن الكرخي: إن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤] وقال أبو بكر الرازي: لا يصح لأن الإجارة عقد مؤقت، وعقد النكاح مؤبد، فهما متناقبان. وقال ابن القاسم: يفسخ قبل البناء ويثبت بعده. وقال أصبغ: إن نقد معه شيئاً فيه اختلاف، وإن لم يتعقد فهو أشد، فإن ترك مضي على كل حال بدليل قصة شعيب؛ قاله مالك وابن الموزان وأشهب. وعول على هذه الآية جماعة من المتأخرين والمتقدمين في هذه النازلة؛ قال ابن خويزمندان: تضمنت هذه الآية النكاح على الإجارة والعقد صحيح، ويكره أن تجعل الإجارة مهراً، وينبغي أن يكون المهر مالاً كما قال عز وجل: ﴿أَنْ تَبْتِغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ﴾ [النساء: ٢٤] هذا قول أصحابنا جميعاً.

الرابعة: وأما قوله: ودخل ولم ينقد فقد اختلف الناس في هذا؛ هل دخل حين عقد أم حين سافر؟ فإن كان حين عقد فماذا نقد؟ وقد منع علماؤنا من الدخول حتى ينقد ولو ربع دينار؛ قاله ابن القاسم. فإن دخل قبل أن ينقد مضي، لأن المتأخرين من أصحابنا قالوا: تعجيل الصداق أو شيء منه مستحب. على أنه إن كان الصداق رعية الغنم فقد نقد الشروع في الخدمة؛ وإن كان دخل حين سافر فطول الانتظار في النكاح جائز وإن كان مدى العمر بغير شرط. وأما إن كان بشرط فلا يجوز إلا أن يكون الغرض صحيحاً مثل التأهب للبناء أو انتظار صلاحية الزوجة للدخول إن كانت صغيرة؛ نص عليه علماؤنا.

الثانية عشرة: في هذه الآية اجتماع إجارة ونكاح، وقد اختلف علماؤنا في ذلك على ثلاثة أقوال: الأول: قال في ثمانية أبي زيد: يكره ابتداء فإن وقع مضي. الثاني: قال مالك وابن القاسم في المشهور: لا يجوز ويفسخ قبل الدخول وبعده؛ لاختلاف مقاصدهما كسائر العقود المتباينة. الثالث: أجازته أشهب وأصبغ. قال ابن العربي: وهذا هو الصحيح وعليه تدل الآية؛ وقد قال مالك النكاح أشبه شيء بالبيع، فأى فرق بين إجارة وبيع أو بين بيع ونكاح.

فروع: وإن أصدقها تعليم شعر مباح صح؛ قال المزني: وذلك مثل قول الشاعر:

يقول العبد فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا

وإن أصدقها تعليم شعر فيه هجو أو فحش كان كما لو أصدقها خمرأ أو خنزيراً.

الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ﴾ جرى ذكر الخدمة مطلقاً وقال مالك إنه

(١) متفق عليه بنحوه: البخاري (٥١٢١) في النكاح، ومسلم (١٤٢٥ / ٧٦) في النكاح، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

جائر ويحمل على العرف، فلا يحتاج في التسمية إلى الخدمة، وهو ظاهر قصة موسى، فإنه ذكر إجارة مطلقة. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يجوز حتى يسمى لأنه مجهول وقد ترجم البخاري: «باب من استأجر أجيراً فبين له الأجل ولم يبين له العمل» لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّاجٍ﴾ قال المهلب: ليس كما ترجم؛ لأن العمل عندهم كان معلوماً من سقي وحرث ورعي وما شاكل أعمال البادية في مهنة أهلها، فهذا متعارف وإن لم يبين له أشخاص الأعمال ولا مقاديرها؛ مثل أن يقول له: إنك تحرث كذا من السنة، وترعى كذا من السنة، فهذا إنما هو على المعهود من خدمة البادية، وإنما الذي لا يجوز عند الجميع أن تكون المدّة مجهولة، والعمل مجهول غير معهود لا يجوز حتى يعلم. قال ابن العربي: وقد ذكر أهل التفسير أنه عيّن له رعية الغنم، ولم يرو من طريق صحيحة، ولكن قالوا: إن صالح مدين لم يكن له عمل إلا رعية الغنم، فكان ما علم من حاله قائماً مقام التعيين للخدمة فيه.

الرابعة عشرة: أجمع العلماء على أنه جائز أن يستأجر الراعي شهوراً معلومة، بأجرة معلومة، لرعاية غنم معدودة؛ فإن كانت معدودة معينة، ففيها تفصيل لعلمائنا؛ قال ابن القاسم: لا يجوز حتى يشترط الخلف إن ماتت، وهي رواية ضعيفة جداً؛ وقد استأجر صالح مدين موسى على غنمه، وقد رآها ولم يشترط خلفاً؛ وإن كانت مطلقة غير مسماة ولا معينة جازت عند علمائنا. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا تجوز لجهالتها؛ وعول علماؤنا على العرف حسبما ذكرناه آنفاً؛ وأنه يعطى بقدر ما تحتمل قوته. وزاد بعض علمائنا أنه لا يجوز حتى يعلم المستأجر قدر قوته، وهو صحيح فإن صالح مدين علم قدر قوة موسى برفع الحجر.

الخامسة عشرة: قال مالك: وليس على الراعي ضمان وهو مصدق فيما هلك أو سرق؛ لأنه أمين كالوكيل. وقد ترجم البخاري: «باب إذا أبصر الراعي أو الوكيل شاة تموت أو شيئاً يفسد فأصلح ما يخاف الفساد» وساق حديث كعب بن مالك عن أبيه: أنه كانت لهم غنم ترعى بسلع، فأبصرت جارية لنا بشاة من غنمنا موتاً فكسرت حجراً فذبحتها به، فقال لهم: لا تأكلوا حتى أسأل النبي أو أرسل إلى النبي ﷺ من يسأله وأنه سأل النبي ﷺ أو أرسل إليه فأمره بأكلها؛ قال عبد الله: فيعجبني أنها أمة وأنها ذبحت. قال المهلب: فيه من الفقه تصديق الراعي والوكيل فيما ائتمنا عليه حتى يظهر عليهما دليل الخيانة والكذب؛ وهذا قول مالك وجماعة. وقال ابن القاسم: إذا خاف الموت على شاة فذبحها لم يضمن ويصدق إذا جاء بها مذبوحة. وقال غيره: يضمن حتى يبين ما قال.

السادسة عشرة: واختلف ابن القاسم وأشهب إذا أنزى الراعي على إناث الماشية بغير إذن أربابها فهلكت فقال ابن القاسم: لا ضمان عليه؛ لأن الإنزاء من إصلاح المال ونمائه. وقال أشهب: عليه الضمان؛ وقول ابن القاسم أشبهه بدليل حديث كعب، وأنه لا ضمان عليه فيما تلف عليه بجتهاده، إن كان من أهل الصلاح، ومن يعلم إشفافه على المال؛ وأما إن كان من أهل الفسوق والفساد وأراد صاحب المال أن يضمنه فعل؛ لأنه لا يصدق أنه رأى بالشاة موتاً لما عرف من فسقه.

السابعة عشرة: لم ينقل ما كانت أجرة موسى عليه السلام؛ ولكن روى يحيى بن سلام أن صالح مدين جعل لموسى كل سخلة توضع خلاف لون أمها، فأوحى الله إلى موسى أن ألق عصاك

بينهن يلدن خلاف شبههن كلهن. وقال غير يحيى: بل جعل له كل بقاء تولد له، فولدن له كلهن بُلُقاً. وذكر القشيري أن شعيباً لما استأجر موسى قال له: ادخل بيت كذا وخذ عصا من العصي التي في البيت، فأخرج موسى عصا، وكان أخرجها آدم من الجنة، وتوارثها الأنبياء حتى صارت إلى شعيب، فأمره شعيب أن يلقبها في البيت ويأخذ عصا أخرى، فدخل وأخرج تلك العصا؛ وكذلك سبع مرات كل ذلك لا تقع بيده غير تلك فعلم شعيب أن له شأنًا؛ فلما أصبح قال له: سق الأغنام إلى مفرق الطريق، فخذ عن يمينك وليس بها عشب كثير، ولا تأخذ عن يسارك فإن بها عشباً كثيراً وتيناً كبيراً لا يقبل المواشي، فساق المواشي إلى مفرق الطريق، فأخذت نحو اليسار ولم يقدر على ضبطها، فنام موسى وخرج التين، فقامت العصا وصارت شعبتها حديداً وحاربت التين حتى قتلتها، وعادت إلى موسى عليه السلام، فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم، والتين مقتولاً؛ فعاد إلى شعيب عشاء، وكان شعيب ضريراً فمس الأغنام، فإذا، أثر الخصب باد عليها، فسأله عن القصة فأخبره بها، ففرح شعيب وقال: كل ما تلد هذه المواشي هذه السنة قالب لون أي ذات لونين فهو لك؛ فجاءت جميع السخال تلك السنة ذات لونين، فعلم شعيب أن لموسى عند الله مكانة. وروى عيينة بن حصن أن رسول الله ﷺ قال: «أجر موسى نفسه بشبع بطنه وعفة فرجه»<sup>(١)</sup> فقال له شعيب لك منها يعني من نتاج غنمه ما جاءت به قالب لون ليس فيها عزز ولا فشوش ولا كموش ولا ضبوب ولا ثعول. قال الهروي: العزوز البكية؛ مأخوذ من العزاز وهي الأرض الصلبة، وقد تعزرت الشاة. والفشوش التي ينفش لبنها من غير حلب وذلك لسعة الإحليل، ومثله الفتوح والثرور. ومن أمثالهم: (لأفشنك فش الوطب) أي لأخرجن غضبك وكبرك من رأسك. ويقال: فش السقاء إذا أخرج منه الريح. ومنه الحديث: «إن الشيطان يقش بين أليتي أحدكم حتى يخيل إليه أنه أحدث»<sup>(٢)</sup> أي ينفخ نفخاً ضعيفاً. والكموش: الصغيرة الضرع، وهي الكميشة أيضاً؛ سميت بذلك لانكماش ضرعها وهو تقلصه؛ ومنه يقال: رجل كميش الإزار. والكشود مثل الكموش. والضبوب الضيقة ثقب الإحليل. والضب الحلب بشدة العصر. والثعول الشاة التي لها زيادة حلمة وهي الثعل. والثعل زيادة السن، وتلك الزيادة هي الرأول. ورجل ثعل. والثعل ضيق مخرج اللبن. قال الهروي: وتفسير قالب لون في الحديث أنها جاءت على غير ألوان أمهاتها.

الثامنة عشرة: الإجارة بالعوض المجهول لا تجوز؛ فإن ولادة الغنم غير معلومة، وإن من البلاد الخصب ما يعلم ولاد الغنم فيها قطعاً وعدتها وسلامة سخالها كديار مصر وغيرها، بيد أن ذلك لا يجوز في شرعنا؛ لأن النبي ﷺ نهى عن الغرر<sup>(٣)</sup>، ونهى عن المضامين والملاقيح<sup>(٤)</sup>. والمضامين

(١) ضعيف جداً: ابن ماجه (٢٤٤٤) في الرهون، وضعفه الألباني جداً (١٤٨٨) في الإرواء، ورواه ابن أبي حاتم (٢٧٩ / ١١) في تفسيره، وفيه الوليد بن مسلم وهو مدلس.

(٢) ضعيف: ابن الأثير (٣ / ٤٤٧) في النهاية، وبنحوه عند أحمد (١٢٥٦٩) في المسند.

(٣) صحيح: سبق تخريجه، وانظر مسلم (٤ / ١٥١٣) في البيوع، عن أبي هريرة - رضي الله عنه.

(٤) ضعيف وهو محتمل للتحمين: الطبراني في الكبير والبراز وفيه إبراهيم بن إسحاق بن أبي حبيبة وثقه أحمد وضعفه جمهور الأئمة وهو عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر: مجمع الزوائد (٤ / ١٠٤) للهيتمي رحمه الله.

قلت: له حديث واحد عند البخاري (٢١٤٣) في البيوع، ومسلم (١٥١٤ / ٥، ٦) في البيوع.

ما في بطون الإناث، والملاقيح ما في أصلاب الفحول وعلى خلاف ذلك قال الشاعر:

مَلْفُوحَةٌ فِي بَطْنِ نَابٍ حَامِلٍ

وقد مضى في سورة «الحجر» بيانه. على أن راشد بن معمر أجاز الإجارة على الغنم بالثلث والربع. وقال ابن سيرين وعطاء: ينسج الثوب بنصيب منه؛ وبه قال أحمد.

التاسعة عشرة: الكفاءة في النكاح معتبرة؛ واختلف العلماء هل في الدين والمال والحسب، أو في بعض ذلك. والصحيح جواز نكاح الموالي للحرثيات والقرشيات؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وقد جاء موسى إلى صالح مدين غريباً طريداً خائفاً وحيداً جائعاً عرياناً فأنكحه ابنته لما تحقق من دينه ورأى من حاله، وأعرض عما سوى ذلك. وقد تقدمت هذه المسألة مستوعبة والحمد لله.

الموفية عشرين: قال بعضهم: هذا الذي جرى من شعيب لم يكن ذكراً لصداق المرأة، وإنما كان اشتراطاً لنفسه على ما يفعله الأعراب؛ فإنها تشترط صداق بناتها، وتقول: لي كذا في خاصة نفسي، وترك المهر مفوضاً؛ ونكاح التفويض جائز. قال ابن العربي: هذا الذي تفعله الأعراب هو حلولان وزيادة على المهر، وهو حرام لا يليق بالأنبياء؛ فأما إذا اشترط الولي شيئاً لنفسه، فقد اختلف العلماء فيما يخرج الزوج من يده ولا يدخل في يد المرأة على قولين: أحدهما: أنه جائز. والآخر: لا يجوز. والذي يصح عندي التقسيم؛ فإن المرأة لا تخلو أن تكون بكرأ أو ثيباً؛ فإن كانت ثيباً جاز؛ لأن نكاحها بيدها، وإنما يكون للولي مباشرة العقد، ولا يمتنع أخذ العوض عليه كما يأخذه الوكيل على عقد البيع. وإن كانت بكرأ كان العقد بيده، وكأنه عوض في النكاح لغير الزوج وذلك باطل؛ فإن وقع فسُخ قبل البناء، وثبت بعده على مشهور الرواية. والحمد لله.

الحادية والعشرون: لما ذكر الشرط وأعقبه بالطوع في العشر خرج كل واحد منهما على حكمه، ولم يلحق الآخر بالأول، ولا اشترك الفرض والطوع؛ ولذلك يكتب في العقود الشروط المتفق عليها، ثم يقال وتطوع بكذا، فيجري الشرط على سبيله، والطوع على حكمه، وانفصل الواجب من التطوع. وقيل: ومن لفظ شعيب حسن في لفظ العقود في النكاح أنكحه إياها أولى من أنكحها إياه على ما يأتي بيانه في «الأحزاب». وجعل شعيب الثمانية الأعوام شرطاً، ووكّل العاشرة إلى المروءة.

الثانية والعشرون: قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ لما فرغ كلام شعيب قرره موسى عليه السلام وكرر معناه على جهة التوثق في أن الشرط إنما وقع في ثمان حجج. و﴿أَيَّمَا﴾ استفهام منصوب بـ﴿قَضَيْتَ﴾ و﴿الْأَجَلِينَ﴾ مخفوض بإضافة «أي» إليهما و«ما» صلة للتأكيد وفيه معنى الشرط وجوابه ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ وأن ﴿عُدْوَانَ﴾ منصوب بـ«لا». وقال ابن كيسان: «ما» في موضع خفض بإضافة «أي» إليها وهي نكرة و﴿الْأَجَلِينَ﴾ بدل منها. وكذلك في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] أي رحمة بدل من ما؛ قال مكي: وكان يتلطف في ألا يجعل شيئاً زائداً في القرآن، ويخرج له وجهاً يخرج من الزيادة. وقرأ الحسن: «أَيَّمَا» بسكون الياء. وقرأ ابن مسعود: «أَيُّ الْأَجَلِينَ مَا قَضَيْتُ». وقرأ الجمهور: ﴿عُدْوَانَ﴾ بضم العين. وأبو حيوة بكسرهما؛ والمعنى:

لا تبعة علي ولا طلب في الزيادة عليه. والعدوان التجاوز في غير الواجب، والحجج السنون. قال الشاعر:

لمن الديار بقنة الحجر أفوين من حجج ومن دهر

الواحدة حجة بكسر الحاء. «وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ» قيل: هو من قول موسى. وقيل: هو من قول والد المرأة. فاكتمى الصالحان صلوات الله عليهما في الإشهاد عليهما بالله ولم يشهدا أحداً من الخلق، وقد اختلف العلماء في وجوب الإشهاد في النكاح؛ وهي:

الثالثة والعشرون: على قولين: أحدهما أنه لا ينعقد إلا بشاهدين. وبه قال أبو حنيفة والشافعي. وقال مالك: إنه ينعقد دون شهود؛ لأنه عقد معاوضة فلا يشترط فيه الإشهاد، وإنما يشترط فيه الإعلان والتصريح، وفرق ما بين النكاح والسفاح الدف. وقد مضت هذه المسألة في «البقرة» مستوفاة. وفي البخاري عن أبي هريرة: أن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ابنتي بالشهداء أشهدهم، فقال كفى بالله شهيداً؛ فقال ابنتي بكفيل؛ فقال كفى بالله كفيلاً. قال صدقت فدفعها إليه<sup>(١)</sup>؛ وذكر الحديث.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا أَلَّيَّاءَ آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ قال سعيد بن جبیر: سألتني رجل من النصارى أي الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله يعني ابن عباس فقدمت عليه فسألته؛ فقال: قضى أكملهما وأوفاهما. فأعلمت النصراني فقال: صدق والله هذا العالم. وروي عن ابن عباس أن النبي ﷺ سأل في ذلك جبريل فأخبره أنه قضى عشر سنين<sup>(٢)</sup>. وحكى الطبري عن مجاهد أنه قضى عشرًا وعشرًا بعدها<sup>(٣)</sup>؛ رواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس. قال ابن عطية<sup>(٤)</sup>: وهذا ضعيف.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ قيل: فيه دليل على أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء؛ لما له عليها من فضل القوامية وزيادة الدرجة إلا أن يلتزم لها أمراً فالؤمنون عند شروطهم، وأحق الشروط أن يوفى به ما استحلتم به الفروج.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ الآية. تقدم القول في ذلك في «طه»<sup>(٥)</sup>. والجدوة بكسر الجيم قراءة العامة، وضمها حمزة ويحيى، وفتحها عاصم والسلمي وزر بن حبيش<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح: البخاري (٢٢٩١) في الكفالة تعليقاً، ووصله ابن حجر - رحمه الله، وانظر: المسند (٢/ ٣٤٨)

للإمام أحمد - رحمه الله.

(٢) صحيح: البخاري (٢٦٨٤) في الشهادات.

(٣) ضعيف المتن: الطبري (٧٠/ ٢٠) في تفسيره.

(٤) حسن لغيره: انظر: الطبري (٧٠/ ٢٠) في تفسيره.

(٥) عند الآية (١٠). (٦) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٥٦).

قال الجوهري: الجذوة والجذوة والجذوة الجمرة الملتهبة والجمع جذأً وجذأً وجذأً. قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَوْ جَذْوَةً مِنَ النَّارِ﴾ أي قطعة من الجمر؛ قال: وهي بلغة جميع العرب. وقال أبو عبيدة: والجذوة مثل الجذمة وهي القطعة الغليظة من الخشب كان في طرفها نار أو لم يكن. قال ابن مقبل:

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلِي يَلْتَمِسْنَ لَهَا  
جَزَلَ الْجِذَاءَ غَيْرَ خَوَارٍ وَلَا دَعِرٍ

وقال:

وَأَلْقَى عَلَى قَيْسٍ مِنَ النَّارِ جِذْوَةً  
شَدِيداً عَلَيْهَا حَمِيها وَلَهِيها

﴿ فَلَمَّا أَتَتْهَا نُوْدِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَسْمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا  
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا ﴾ يعني الشجرة قدم ضميرها عليها. ﴿نُوْدِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ﴾ «من الأولى والثانية لابتداء الغاية، أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة. و﴿ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ بدل من قوله: ﴿ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ ﴾ بدل الاشتمال؛ لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ، وشاطئ الوادي وشطه جانبه، والجمع شُطآن وشواطئ، ذكره القشيري. وقال الجوهري: ويقال شاطئ الأودية ولا يجمع. وشاطأت الرجل إذا مشيت على شاطئ ومشى هو على شاطئ آخر. ﴿الْأَيْمَنِ﴾ أي عن يمين موسى. وقيل: عن يمين الجبل. ﴿ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ وقرأ الأشهب العقيلي: ﴿ فِي الْبُقْعَةِ بفتح الباء. وقولهم بقعا يدل على بقعة؛ كما يقال جفنة وجفان. ومن قال بقعة قال بقع مثل غرفة وغرف. ﴿ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ أي من ناحية الشجرة. قيل: كانت شجرة العليق. وقيل: سمرة وقيل: عوسج. ومنها كانت عصاه؛ ذكره الزمخشري. وقيل: عناب، والعوسج إذا عظم يقال له العرقد. وفي الحديث: إنه من شجر اليهود فإذا نزل عيسى وقتل اليهود الذين مع الدجال فلا يخفي أحد منهم خلف شجرة إلا نطقت وقالت يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله إلا العرقد فإنه من شجر اليهود فلا ينطق. خرجه مسلم (١). قال المهدي: وكلم الله تعالى موسى عليه السلام من فوق عرشه وأسمعه كلامه من الشجرة على ما شاء. ولا يجوز أن يوصف الله تعالى بالانتقال والزوال وشبه ذلك من صفات المخلوقين. قال أبو المعالي: وأهل المعاني وأهل الحق يقولون من كلمة الله تعالى وخصه بالرتبة العليا والغاية القصوى، فيدرك كلامه القديم المتقدس عن مشابهة الحروف والأصوات والعبارات والتغيمات وضروب اللغات، كما أن من خصه الله بمنازل الكرامات وأكمل عليه نعمته ورزقه رؤيته، يرى الله سبحانه منزهاً عن ماثلة الأجسام وأحكام الحوادث، ولا مثل له سبحانه في ذاته وصفاته، وأجمعت الأمة على أن الرب تعالى خصص موسى عليه السلام وغيره من المصطفين من الملائكة بكلامه. قال الأستاذ أبو إسحاق: اتفق من الحق على أن الله تعالى خلق في موسى عليه السلام معنى من المعاني أدرك به كلامه كان اختصاصه في سماعه، وأنه قادر على مثله في جميع خلقه.

(١) صحيح: مسلم (٢٩٢١) في الفتن وأشراف الساعة، عن ابن عمر - رضي الله عنهما، و(٢٩٢٢)، عن أبي هريرة - رضي الله عنه.

واختلفوا في نبينا عليه السلام هل سمع ليلة الإسراء كلام الله، وهل سمع جبريل كلامه؟ على قولين؛ وطريق أحدهما النقل المقطوع به وذلك مفقود، واتفقوا على أن سماع الخلق له عند قراءة القرآن على معنى أنهم سمعوا العبارة التي عرفوا بها معناه دون سماعه له في عينه، وقال عبد الله بن سعد بن كلاب: إن موسى عليه السلام فهم كلام الله القديم من أصوات مخلوقة أثبتها الله تعالى في بعض الأجسام.

قال أبو المعالي: وهذا مردود؛ بل يجب اختصاص موسى عليه السلام بإدراك كلام الله تعالى خرقاً للعادة، ولو لم يُقَلْ ذلك لم يكن لموسى عليه السلام اختصاص بتكليم الله إياه. والرب تعالى أسمعه كلامه العزيز، وخلق له علماً ضرورياً، حتى علم أن ما سمعه كلام الله، وأن الذي كلمه وناداه هو الله رب العالمين. وقد ورد في الأقاويص أن موسى عليه السلام قال: سمعت كلام ربي بجميع جوارحي، ولم أسمعه من جهة واحدة من جهاتي<sup>(١)</sup>، وقد مضى هذا المعنى في «البقرة» مستوفى. ﴿أَنْ يَا مُوسَى﴾ ﴿أَنْ﴾ في موضع نصب بحذف حرف الجر أي بـ ﴿أَنْ يَا مُوسَى﴾. ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ نفى لربوبية غيره سبحانه. وصار بهذا الكلام من أصفياء الله عز وجل لا من رسله؛ لأنه لا يصير رسولاً إلا بعد أمره بالرسالة، والأمر بها إنما كان بعد هذا الكلام.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۗ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطف على ﴿أَنْ يَا مُوسَى﴾ [القصص: ٣٠] وتقدم الكلام في هذا في «النمل»<sup>(٢)</sup> وفي «طه»<sup>(٣)</sup>. و﴿مُدْبِرًا﴾ نصب على الحال وكذلك موضع قوله: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ نصب على الحال أيضاً. ﴿يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ أي من الحية وضررها. قال وهب: قيل له ارجع إلى حيث كنت. فرجع فلفَّ دُرَّاعَتَهُ عَلَى يَدِهِ، فقال له الملك: أرايت إن أراد الله أن يصيبك بما تحاذر أينفعك لَفُّكَ يَدَكَ؟ قال: لا ولكنني ضعيف خلقت من ضعف. وكشف يده فأدخلها في فم الحية فعادت عصا. ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ أي مما تحاذر.

(١) كلام متأخرى الأشاعرة في صفة الكلام لله تعالى يشبه كلام المعتزلة، وكلام زنادقة الصوفية، فهم يقولون - وناقل الكفر ليس بكافر - إنه تعالى لا يتكلم فإذا أراد أن يكلم أحداً ركب فيه صفة يفهم بها معنى كلام الله تعالى الذي داخل نفسه بلا كلام ولا حروف.

وهذا يعنى نفى صفة الكلام، وربنا سبحانه صرَّح فقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. ثم مسألة الأصوات المخلوقة في بعض الأجسام يعني التشبه بالزنادقة القائلين بـ (الحلول والاتحاد) كما وضع شيخ الإسلام، وعلى ذلك فكلام الله تعالى للشجرة حلول له فيها؛ وهذا كله باطل. وللمزيد ارجع إلى: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص ٢٢٧ - ٢٣٠) ط دار الغد الجديد.

(٢) عند الآية (١٠).

(٣) عند الآيتين (١٨، ١٩).

﴿ أَسَلِكُ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ  
 بَرَهْمَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا  
 فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ  
 أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا  
 بِأَيِّتِنَا أٰتَمًا وَمَنْ أَتَّبَعَكُمَا أَفْلٰهُونَ ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿ أَسَلِكُ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ الآية؛ تقدم القول فيها. ﴿ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾  
 «من» متعلقة بـ ﴿ وُلِّي ﴾ [القصص: ٣١] أي ولى مديراً من الرهب، وقرأ حفص والسلمي وعيسى بن  
 عمر وابن أبي إسحاق: ﴿ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ بفتح الراء وإسكان الهاء<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن عامر والكوفيون إلا  
 حفص بضم الراء وجزم الهاء<sup>(٢)</sup>. الباقر بفتح الراء والهاء. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لقوله  
 تعالى: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الانباء: ٩٠] وكلها لغات وهو بمعنى الخوف. والمعنى إذا هالكَ أمرُ يدِكَ  
 وشاعها فأدخلها في جيبك واردها إليه تعد كما كانت. وقيل: أمره الله أن يضم يده إلى صدره  
 فيذهب عنه خوف الحية. عن مجاهد وغيره ورواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>؛ قال: فقال ابن عباس:  
 ليس من أحد يدخله رعب بعد موسى عليه السلام، ثم يدخل يده فيضعها على صدره إلا ذهب عنه  
 الرعب<sup>(٤)</sup>. ويحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أن كاتباً كان يكتب بين يديه، فانفلتت منه  
 فلتة ريح فخنجل وانكسر، فقام وضرب بقلمه الأرض. فقال له عمر: خذ قلمك واضمم إليك  
 جناحك، وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي. وقيل: المعنى اضمم  
 يدك إلى صدرك ليذهب الله ما في صدرك من الخوف. وكان موسى يرتعد خوفاً إما من آل فرعون  
 وإما من الشعبان. وضم الجناح هو السكون؛ كقوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾  
 [الإسراء: ٢٤] يريد الرفق. وكذلك قوله: ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥] أي  
 ارفق بهم. وقال الفراء: أراد بالجناح عصاه. وقال بعض أهل المعاني: الرهب الكُم بلغة حمير وبني  
 حنيفة. قال مقاتل: سألتني أعرابية شيئاً وأنا أكل فملات الكف وأومات إليها فقالت: هاهنا في  
 رهيبي. تريد في كمي. وقال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول لآخر أعطني رهبك. فسألته عن الرهب  
 فقال: الكُم؛ فعلى هذا يكون معناه اضمم إليك يدك وأخرجها من الكُم؛ لأنه تناول العصا ويده في  
 كمه وقوله: ﴿ أَسَلِكُ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ يدل على أنها اليد اليمنى؛ لأن الجيب على اليسار. ذكره  
 القشيري.

قلت: وما فسره من ضم اليد إلى الصدر يدل على أن الجيب موضعه الصدر. وقد مضى في  
 سورة «النور» بيانه. الزمخشري: ومن بدع التفاسير: أن الرهب الكُم بلغة حمير وأنهم يقولون:

(١، ٢) قراءتان متواترتان: تقريب النشر (ص ١٥٦).

(٣) منقطع: فيه الضحاك، عن ابن عباس ولم يلقه. الطبري (٢٠ / ٧١) في تفسيره.

(٤) ذكره البغوي (٦ / ٢٠٧) في تفسيره، عن عطاء، عن ابن عباس.

أعطني مما في رهبك، وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم، ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية، وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل؛ على أن موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زُرْمَانَقَةً<sup>(١)</sup> من صوف لا كمين لها. قال القشيري: وقوله: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ يريد اليدين إن قلنا أراد الأمن من فزع الشعبان. وقيل: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ أي شمر واستعد لتحمل أعباء الرسالة.

قلت: فعلى هذا قيل: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣١] أي من المرسلين؛ لقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠]. قال ابن بحر: فصار على هذا التأويل رسولا بهذا القول. وقيل: إنما صار رسولا بقوله: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ﴾ والبرهانان اليد والعصا. وقرأ ابن كثير: بتشديد النون<sup>(٢)</sup> وخففها الباقون. وروى أبو عمار عن أبي الفضل عن أبي بكر عن ابن كثير، «فَذَانِيكَ» بالتشديد والياء. وعن أبي عمرو أيضاً قال لغة هذيل: «فَذَانِيكَ» بالتخفيف والياء. ولغة قريش «فَذَانِكَ» كما قرأ أبو عمرو وابن كثير. وفي تعليقه خمسة أقوال: قيل شددت النون عوضاً من الألف الساقطة في ذاك الذي هو تشنية ذا المرفوع، وهو رفع بالابتداء، وألف ذا محذوفة لدخول ألف التشنية عليها، ولم يلتفت إلى التقاء الساكنين؛ لأن أصله «فَذَانِكَ» فحذف الألف الأولى عوضاً من النون الشديدة، وقيل: التشديد للتأكيد كما أدخلوا اللام في ذلك. مكى: وقيل إن من شدد إنما بناه على لغة من قال في الواحد ذلك، فلما بنى اللام بعد نون التشنية، ثم أدغم اللام في النون على حكم إدغام الثاني في الأول، والأصل أن يدغم الأول أبداً في الثاني، إلا أن يمنع من ذلك علة فيدغم الثاني في الأول، والعلة التي منعت في هذا أن يدغم الأول في الثاني أنه لو فعل ذلك لصار في موضع النون التي تدل على التشنية لام مشددة فيتغير لفظ التشنية فأدغم الثاني في الأول لذلك؛ فصار نوناً مشددة. وقد قيل: إنه لما تساقى ذلك أثبت اللام قبل النون ثم أدغم الأول في الثاني على أصول الإدغام فصار نوناً مشددة. وقيل: شددت فرقاً بينها وبين الظاهر التي تسقط الإضافة نونه؛ لأن ذان لا يضاف. وقيل: للفرق بين الاسم المتمكن وبينها. وكذلك العلة في تشديد النون في «اللذان» و«هذان». قال أبو عمرو: إنما اختص هذا الحرف بالتشديد دون كل تشنية من جنسه لقله حروفه فقرأه بالثقل. ومن قرأ: «فَذَانِيكَ» بياء مع تخفيف النون فالأصل عنده «فَذَانُكَ» بالتشديد فأبدل من النون الثانية ياء كراهية التضعيف، كما قالوا: لا أملاء في لا أملة فأبدلوا اللام الثانية ألفاً. ومن قرأ بياء بعد النون الشديدة فوجهه أنه أشبع كسرة النون فتولدت عنها الياء.

قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ يعني معيناً مشتق من أردأته أي أعتته. والردء العون. قال الشاعر:

ألم تر أن أضرمَ كان رِدْئِي وخيرَ الناسِ في قُلِّ ومال

النحاس: وقد أردأه ورداه أي أعانه؛ وترك همزه تخفيفاً. وبه قرأ نافع، وهو بمعنى المهومز. قال

(١) زُرْمَانَقَة: جبة من صوف وهي معربة. اللسان «ذرمق».

قلت: والخبر من الإسرائيليات، وانظره في: الكشاف (١٦٦/٣).

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٠٥).

المهدي: ويجوز أن يكون ترك الهمز من قولهم أردى على المائة أي زاد عليها، وكان المعنى أرسله معي زيادة في تصديقي؛ قاله مسلم بن جندب. وأنشد قول الشاعر:

وأسمر خطياً كأن كُعبه نوى القسب قد أردى ذراعاً على العشر

كذا أنشد الماوردي هذا البيت: قد أردى. وأنشده الغزنوي والجوهري في الصحاح قد أرمى؛ قال: والقسب: الصلب، والقسب: تمر يابس يتفتت في الفم صلب النواة. قال يصف رمحاً: وأسمر. البيت. قال الجوهري: ردؤ الشيء يردؤ رداءً فهو رديء أي فاسد، وأردأته أفسدته، وأردأته أيضاً بمعنى اعتته؛ تقول: أردأته بنفسه أي كنت له رداءً وهو العون. قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ قال النحاس: وقد حكى رداً: رداءً وجمع رداءً أرداءً. وقرأ عاصم وحمزة: ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بالرفع. وجزم الباقون<sup>(١)</sup>؛ وهو اختيار أبي حاتم على جواب الدعاء. واختار الرفع أبو عبيد على الحال من الهاء في ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾ أي أرسله رداءً مصداقاً حالة التصديق؛ كقوله: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ﴾ [المائدة: ١١٤] أي كائنة؛ حال صرف إلى الاستقبال. ويجوز أن يكون صفة لقوله: ﴿رِدْءًا﴾. ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ﴾ إذا لم يكن لي وزير ولا معين؛ لأنهم لا يكادون يفقهون عني، فـ ﴿قَالَ﴾ الله جل وعز له: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ أي نقويك به؛ وهذا تمثيل؛ لأن قوة اليد بالعضد، وقال طرفة:

بَنِي لُبَيْنٍ لَسْتُ مَبِيدٌ إِلَّا يَدًا لَيْسَتْ لَهَا عَضُدٌ

ويقال في دعاء الخير: شد الله عضدك. وفي ضده: فت الله في عضدك. ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا﴾ أي حجة وبرهاناً. ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بالأذى ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي تمتنعان منهم ﴿بِآيَاتِنَا﴾ فيجوز أن يوقف على ﴿إِلَيْكُمَا﴾ ويكون في الكلام تقديم وتأخير. وقيل: التقدير ﴿أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ بآياتنا. قاله الاخفش والطبري. قال المهدي: وفي هذا تقديم الصلة على الموصول، إلا أن يقدر أنتم غالبان بآياتنا أنتم ومن اتبعكما الغالبون. وعنى بالآيات سائر معجزاته.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَتَّبِعُنَا قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِي وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَسُّبُهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَمُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِي مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّارِكِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ﴾ أي ظاهرات واضحات ﴿ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ ﴾ مكذوب مختلق ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ﴾ أي في الأمم الماضية؛ قاله ابن عباس. والباء في ﴿بِهَذَا﴾ زائدة، أي ما سمعنا هذا كائناً في آبائنا الأولين، وقيل: إن هذه الآيات ما احتج به موسى في إثبات التوحيد من الحجج العقلية. وقيل: هي معجزاته.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ ﴾ قراءة العامة بالواو. وقرأ مجاهد وابن كثير وابن محصين: «قَالَ» بلا واو<sup>(١)</sup>؛ وكذلك هو في مصحف أهل مكة. ﴿ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ ﴾ أي بالرشاد. ﴿ مَن عِنْدَهُ وَمَن تَكَوَّنُ لَهُ ﴾ قرأ الكوفيون إلا عاصماً: «يكون» بالياء<sup>(٢)</sup>، والباقون بالتاء. وقد تقدم هذا. ﴿ عَاقِبَةُ الدَّارِ ﴾ أي دار الجزاء. ﴿ إِنَّهُ ﴾ الهاء ضمير الأمر والشأن ﴿ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ قال ابن عباس: كان بينها وبين قوله: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤] أربعون سنة، وكذب عدو الله بل علم أن له ثم رباً هو خالقه وخالق قومه. ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]. قال: ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطْعَمُ إِيَّاهُ مُوسَىٰ ﴾ أي اطبخ لي الآجر؛ عن ابن عباس رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>. وقال قتادة: هو أول من صنع الآجر وبنى به. ولما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال قيل خمسين ألف بناء سوى الاتباع والأجراء وأمر بطبخ الآجر والحصص، ونشر الخشب، وضرب المسامير، فبنوا ورفعوا البناء وشيدوا بحيث لم يبلغه بنيان منذ خلق الله السموات والأرض، فكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه، حتى أراد الله أن يفتنهم فيه. فحكى السدي: أن فرعون صعد السطح ورمى بنشابة نحو السماء، فرجعت متلطخة بدماء، فقال قد قتلت إله موسى. فروي أن جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى عند مقالته، فضرب الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع؛ قطعة على عسكر فرعون قتلت منهم ألف ألف، وقطعة في البحر، وقطعة في الغرب، وهلك كل من عمل فيه شيئاً<sup>(٤)</sup>. والله أعلم بصحة ذلك. ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ الظن هنا شك، فكفر على الشك؛ لأنه قد رأى من البراهين ما لا يُخيل على ذي فطرة.

قوله تعالى: ﴿ وَأَسْتَكْبِرُ ﴾ أي تعظم ﴿ هُوَ وَجُنُودُهُ ﴾ أي عن الإيمان بموسى. ﴿ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ أي بالعدوان، أي لم تكن له حجة تدفع ما جاء به موسى. ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُم لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ أي توهموا أنه لا معاد ولا بعث. وقرأ نافع وابن محيصن وشيبة وحמיד ويعقوب وحمزة والكسائي: ﴿ لَا يُرْجَعُونَ ﴾ بفتح الياء وكسر الجيم على أنه مسمى الفاعل<sup>(٥)</sup>. الباقيون: «يُرْجَعُونَ» على الفعل المجهول. وهو اختيار أبي عبيد، والأول اختيار أبي حاتم. ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ ﴾ وكانوا ألفي ألف وستمئة ألف. ﴿ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ أي طرحناهم في البحر المالح. قال قتادة: بحر من وراء مصر يقال له إساف أغرقهم الله فيه<sup>(٦)</sup>. وقال وهب والسدي: المكان الذي أغرقهم الله فيه بناحية القلزم يقال له بطن

(١) قراءة متواترة: السابق (ص ١٥٦).

(٢) ضعيف: فيه الضحاك، عن ابن عباس، كما عند ابن أبي حاتم (١١ / ٢٩٧) في تفسيره.

(٣) ليس بصحيح: انظر: النكت والعيون (٣ / ٢٢٩).

(٤) قراءة متواترة: الإقناع (٢ / ٧٢٤).

(٥) غريب المتن: الطبري (٢٠ / ٨٠) في تفسيره.

مُرِيْرَةً، وهو إلى اليوم غضبان<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: يعني نهر النيل<sup>(٢)</sup>. وهذا ضعيف والمشهور الأوّل. ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ أي آخر أمرهم.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾ أي جعلناهم زعماء يتبعون على الكفر، فيكون عليهم وزرهم ووزر من اتبعهم حتى يكون عقابهم أكثر. وقيل: جعل الله الملا من قومه رؤساء السقلة منهم، فهم يدعون إلى جهنم. وقيل: أئمة يأتهم بهم ذوو العبر ويتعظ بهم أهل البصائر. ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي إلى عمل أهل النار ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾. ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أي أمرنا العباد بلعنهم فمن ذكرهم لعنهم. وقيل: أي الزمناهم اللعن أي البعد عن الخير. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي من المهلكين المقوتين. قاله ابن كيسان وأبو عبيدة. وقال ابن عباس: المشوهين الخلقه بسواد الوجوه وزرقة العيون<sup>(٣)</sup>. وقيل: من المبعدين. يقال: قَبَّحَ الله أي نحاه من كل خير، وَقَبَّحَهُ وَقَبَّحَهُ إِذَا جَعَلَهُ قَبِيحًا. وقال أبو عمرو: قبحت وجهه بالتخفيف معناه قَبَّحت. قال الشاعر:

أَلَا قَبَّحَ اللَّهُ الْبِرَاجِمَ كُلَّهَا      وَقَبَّحَ يَرْبُوعًا وَقَبَّحَ دَارِمًا

وانتصب يوماً على الحمل على موضع ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ واستغنى عن حرف العطف في قوله: ﴿مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ كما استغنى عنه في قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَأَيْبُهُمْ كُلِّهِمْ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ويجوز أن يكون العامل في ﴿يَوْمَ﴾ مضمراً يدل عليه قوله: ﴿هُم مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ فيكون كقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢] ويجوز أن يكون العامل في ﴿يَوْمَ﴾ قوله: ﴿هُم مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ وإن كان الظرف متقدماً. ويجوز أن يكون مفعولاً على السعة، كأنه قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة، ولعنة يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة؛ قاله قتادة. قال يحيى بن سلام: هو أوّل كتاب يعني التوراة<sup>(٤)</sup> نزلت فيه الفرائض والحدود والأحكام<sup>(٥)</sup>. وقيل: الكتاب هنا ست من المثاني السبع التي أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ؛ قاله ابن عباس، ورواه مرفوعاً<sup>(٦)</sup>. ﴿مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قال أبو سعيد الخدري: قال النبي ﷺ: «ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء ولا من الأرض منذ أنزل الله التوراة على موسى غير القرية التي مسخت قردة ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾»<sup>(٧)</sup>، أي من بعد قوم نوح وعاد وشمود. وقيل: أي من بعد ما أغرقنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون. ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ أي

(١) فتح القدير (٤/ ٢٤٤) للشوكاني غير مستدين.

(٢) ذكره البغوي (٦/ ٢١٠) في تفسيره بلا سند.

(٣) - (٦) الماوردي (٣/ ٢٣٠) في تفسيره.

(٧) ضعيف مرفوع. صحيح موقوف: الحاكم (٢/ ٤٤٢) في المستدرک، وقد رواه الطبري (٢٠/ ٨١) (١١/ ٣٠١)

في تفسيره، من طريق آخر موقوفاً.

قلت: وهو الأصح إسناداً وعليه التعليل - إن شاء الله.

آتيناه الكتاب بصائر. أي ليتبصروا ﴿ وَهُدًى ﴾ أي من الضلالة لمن عمل بها ﴿ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ لمن آمن بها. ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي ليذكروا هذه النعمة فيقيموا على إيمانهم في الدنيا، ويثقوا بشواهم في الآخرة.

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿ ١٦٦ ﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿ ١٦٧ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ ﴾ أي ما كنت يا محمد ﴿ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ﴾ أي بجانب الجبل الغربي. قال الشاعر:

أعطاك من أعطى الهدى النبياً  
نوراً يزين المنبر الغربياً  
﴿ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ ﴾ إذ كلفناه أمرنا ونهينا، وألزمناه عهدنا. وقيل: أي إذ قضينا إلى موسى أمرك وذكرنا بخير ذكر. وقال ابن عباس<sup>(١)</sup>: ﴿ إِذْ قَضَيْنَا ﴾ أي أخبرنا أن أمة محمد خير الأمم. ﴿ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ أي من الحاضرين.

قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا ﴾ أي من بعد موسى ﴿ فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ﴾ حتى نسوا ذكر الله أي عهده وأمره. نظيره: ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحديد: ١٦]، وظاهر هذا يوجب أن يكون جرى لتبينا عليه السلام ذكر في ذلك الوقت، وأن الله سيعثه، ولكن طالت المدّة، وغلبت القسوة، فنسى القوم ذلك. وقيل: آتينا موسى الكتاب وأخذنا على قومه العهود، ثم تطاول العهد فكفروا، فأرسلنا محمداً مجدداً للدين وداعياً الخلق إليه: وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ أي مقيماً كمقام موسى وشعيب بينهم. قال العجاج:

فبات حيث يدخل الثويُّ

أي الضيف المقيم. وقوله: ﴿ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ أي تذكروهم بالوعد والوعيد. ﴿ وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ أي أرسلناك في أهل مكة، وآتيناك كتاباً فيه هذه الأخبار: ولولا ذلك لما علمتها.

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ ١٦٨ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ أي كما لم تحضر جانب المكان الغربي إذ أرسل الله موسى إلى فرعون، فكذلك لم تحضر جانب الطور إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين. وروى عمرو بن دينار يرفعه قال: «نودي يا أمة محمد أجبتمكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني»<sup>(٢)</sup> فذلك قوله: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾، وقال أبو هريرة وفي رواية عن ابن

(١) البغوي (٦ / ٢١١) في تفسيره .

(٢) مرسل : وانظر: الدر المنثور (٥ / ٢٤٦) للسيوطي .

عباس: «إن الله قال: يا أمة محمد قد أجبتمكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ورحمتكم قبل أن تسترحموني»<sup>(١)</sup> قال وهب: وذلك أن موسى لما ذكر الله له فضل محمد وأمه قال: يا رب أرنهم. فقال الله: «إنك لن تدرهم وإن شئت ناديتهم فأسمعتك صوتهم» قال: بلى يا رب. فقال الله تعالى: «يا أمة محمد» فأجابوا من أصلاب آبائهم. فقال: «قد أجبتمكم قبل أن تدعوني»<sup>(٢)</sup>.

ومعنى الآية على هذا: ما كنت بجانب الطور إذ كلمنا موسى فنادينا أمتك وأخبرناه بما كتبناه لك ولأمتك من الرحمة إلى آخر الدنيا. ﴿وَلَكِنْ﴾ فعلنا ذلك ﴿رَحْمَةً﴾ منا بكم. قال الأخفش: ﴿رَحْمَةً﴾ نصب على المصدر أي ولكن رحمتك رحمة. وقال الزجاج: هو مفعول من أجله أي فعل ذلك بك لأجل الرحمة. النحاس: أي لم تشهد قصص الأنبياء، ولا تليت عليك، ولكننا بعثناك وأوحيناها إليك للرحمة. وقال الكسائي: على خبر كان؛ التقدير: ولكن كان رحمة. قال: ويجوز الرفع بمعنى هي رحمة. الزجاج: الرفع بمعنى ولكن فعل ذلك رحمة. ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ يعني العرب؛ أي لم تشاهد تلك الاخبار، ولكن أوحيناها إليك رحمة بمن أرسلت إليهم لتنذرهم بها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَوْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ﴾ يريد قريشاً. وقيل: اليهود. ﴿مُصِيبَةٌ﴾ أي عقوبة ونقمة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي. وخص الأيدي بالذكر؛ لأن الغالب من الكسب إنما يقع بها. وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف أي لولا أن يصيبهم عذاب بسبب معاصيهم المتقدمة ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾ أي هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ لما بعثنا الرسل، وقيل: لعاجلناهم بالعقوبة، وبعث الرسل إزاحة لعذر الكفار كما تقدم في «الإسراء» وآخر «طه». ﴿فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ نصب على جواب التحضيض. ﴿وَنَكُونَ﴾ عطف عليه. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من المصدقين. وقد احتج بهذه الآية من قال: إن العقل يوجب الإيمان والشكر؛ لأنه قال: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك موجب للعقاب إذ تقرّر الوجوب قبل بعثة الرسل، وإنما يكون ذلك بالعقل. قال القشيري: والصحيح أن المحذوف لولا كذا لما احتجج إلى تجديد الرسل. أي هؤلاء الكفار غير معذورين إذ بلغتهم الشرائع السابقة والدعاء إلى التوحيد، ولكن تطاول العهد، فلو عذبتناهم فقد يقول قائل منهم طال العهد بالرسل، ويظن أن ذلك عذر ولا عذر لهم بعد أن بلغهم خير الرسل، ولكن أكملنا إزاحة العذر، وأكملنا البيان فبعثناك يا محمد إليهم. وقد حكم الله بأنه لا

(١) عزاه السيوطي (٥/ ٢٤٦) لابن مردويه، عن ابن عباس.

ورواية أبي هريرة عند النسائي (١١٣٨٢) في الكبرى، والحاكم (٣٥٣٥) في المستدرک، والطبري (٢٠/ ٨٢) في تفسيره، وإسناده صحيح إليه.

(٢) البغوي (٦/ ٢١١) في تفسيره، معلقاً غير مسند.

يعاقب عبداً إلا بعد إكمال البيان والحجة وبعثة الرسل.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿ قَالُوا ﴾ يعني كفار مكة ﴿ لَوْلَا ﴾ أي هلا ﴿ أَوْتِي مِثْلَ مَا أَوْتِيَ مُوسَى ﴾ من العصا واليد البيضاء، وأنزل عليه القرآن جملة واحدة كالتوراة، وكان بلغهم ذلك من أمر موسى قبل محمد؛ فقال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ﴾ أي موسى ومحمد تعاونا على السحر. قال الكلبي<sup>(١)</sup>: بعثت قريش إلى اليهود وسألوهم عن بعث محمد وشأنه فقالوا: إنا نجد في التوراة بنعته وصفته. فلما رجع الجواب إليهم ﴿ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ﴾. وقال قوم: إن اليهود علموا المشركين، وقالوا قولوا لمحمد لولا أوتيت مثل ما أوتي موسى، فإنه أوتي التوراة دفعة واحدة. فهذا الاحتجاج وارد على اليهود، أي أو لم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتي موسى حين قالوا في موسى وهارون هما ساحران. وقرأ الكوفيون: ﴿ سِحْرَانِ ﴾ بغير ألف؛ أي الإنجيل والقرآن. وقيل: التوراة والفرقان؛ قاله الفراء. وقيل: التوراة والإنجيل. قاله أبو رزين. الباقون «ساحران» بالف<sup>(٢)</sup>. وفيه ثلاثة أقاويل. أحدها: موسى ومحمد عليهما السلام. وهذا قول مشركي العرب. وبه قال ابن عباس<sup>(٣)</sup> والحسن. الثاني: موسى وهارون. وهذا قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة. وبه قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد<sup>(٤)</sup>. فيكون الكلام احتجاجاً عليهم.. وهذا يدل على أن المحذوف في قوله: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ ﴾ لما جددنا بعثة الرسل؛ لأن اليهود اعترفوا بالنبوات ولكنهم حرقوا وغيروا واستحققوا العقاب، فقال: قد أكملنا إزاحة عذرهم ببعثة محمد ﷺ. الثالث: عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم. وهذا قول اليهود اليوم. وبه قال قتادة<sup>(٥)</sup>. وقيل: أو لم يكفر جميع اليهود بما أوتي موسى في التوراة من ذكر المسيح، وذكر الإنجيل والقرآن، فأرأوا موسى ومحمداً ساحرين والكتابين سحرين.

﴿ قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا ﴾ أي قل يا محمد إذ كفرتم معاشر المشركين بهذين الكتابين ﴿ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ ﴾ ليكون ذلك عذراً لكم في الكفر ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في أنهما سحران. أو فاتوا بكتاب هو أهدى من كتابي موسى ومحمد عليهما السلام. وهذا يقوي قراءة الكوفيين ﴿ سِحْرَانِ ﴾. ﴿ أَتَّبِعُهُ ﴾ قال الفراء: بالرفع؛ لأنه صفة للكتاب وكتاب نكرة. قال: وإذا جزمت وهو الوجه فعلى الشرط.

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾ يا محمد أن يأتوا بكتاب من عند الله ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ

(١) مرسل بل معضل: والكلبي معروف حاله من الضعف. البغوي (٦/ ٢١٢) في تفسيره، معلقاً بلا سند.

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٥٦).

(٣) رجاله نقات إلى ابن عباس: الطبري (٢٠/ ٨٤) في تفسيره.

(٤) صحيح إليهم: السابق (٢٠/ ٨٤).

(٥) وهو قول الحسن كما سبق.

أَهْوَاهُمْ ﴿ أَي آراء قلوبهم وما يستحسنونه ويحببه لهم الشيطان، وأنه لا حجة لهم. ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ أي لا أحد أضل منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ أي أتبعنا بعضه بعضاً، وبعثنا رسولا بعد رسول. وقرأ الحسن: «وَصَلْنَا» مخففاً. وقال أبو عبيدة والأخفش: معنى ﴿وَصَلْنَا﴾ «أتمنا كصلتك الشيء». وقال ابن عيينة والسدي: بيتا (١). وقال ابن عباس (٢). وقال مجاهد: فصلنا (٣). وكذلك كان يقرأها. وقال ابن زيد: وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم في الآخرة في الدنيا (٤). وقال أهل المعاني: وآلينا وتابعتنا وأنزلنا القرآن تبع بعضه بعضاً: وعداً ووعداً وقصصاً وعبراً ونصائح ومواظ إرادة أن يتذكروا فيفلحوا. وأصلها من وصل الحبال بعضها ببعض. قال الشاعر:

فقل لبني مروان ما بال ذمّة  
وحبلٍ ضعيفٍ ما يزال يُوصَلُّ

وقال امرؤ القيس:

دريز كَحْدُرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرَةٌ  
تَقَلَّبُ كَفَيْهِ بِخَيْطِ مُوَصَّلٍ

والضمير في ﴿لَهُمْ﴾ لقريش؛ عن مجاهد (٥). وقيل: هو لليهود. وقيل: هو لهم جميعاً. والآية رد على من قال هلا أوتي محمد القرآن جملة واحدة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ قال ابن عباس: يتذكرون محمداً فيؤمنوا به (٦). وقيل: يتذكرون فيخافوا أن ينزل بهم ما نزل بمن قبلهم؛ قاله علي بن عيسى. وقيل: لعلهم يتعظون بالقرآن عن عبادة الأصنام. حكاه النقاش.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُم بِهِ يَوْمِنُونَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُم بِهِ يَوْمِنُونَ﴾ أخبر أن قوماً ممن أوتوا الكتاب من بني إسرائيل من قبل القرآن يؤمنون بالقرآن؛ كعبد الله بن سلام وسلمان. ويدخل فيه من أسلم من علماء النصارى، وهم أربعون رجلاً، قدموا مع جعفر بن أبي طالب المدينة، اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة، وثمانية نفر أقبلوا من الشام وكانوا أئمة النصارى: منهم بحيراء الراهب وأبرهة والأشرف وعامر وأمين وإدريس ونافع (٧). كذا سماهم الماوردي وأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية والتي بعدها ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤] قاله قتادة. وعنه أيضاً: أنها نزلت في عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي، أسلموا فترلت فيهم هذه الآية (٨). وعن رفاة

(١ - ٤) انظرها: عند البغوي (٦ / ٢١٣) في تفسيره، وخبر مجاهد ضعيف فيه لث، عن مجاهد، وليث

ضعيف، وخبر ابن زيد صحيح، وانظر: الطبري (٢٠ / ٨٨) في تفسيره.

(٥) صحيح إليه: الطبري (٢٠ / ٨٩) في تفسيره.

(٦) ضعيف جداً: الطبري (٢٠ / ٨٩) في تفسيره، من طريق العوفي.

(٧) ذكره البغوي في تفسيره (٦ / ٢١٣) بنحوه عن ابن عباس، وانظر: زاد المسير (٦ / ٢٢٩)، والله أعلم أي سبب كان من هذا الأسباب.

(٨) مرسل: الطبري (٢٠ / ٩٠) في تفسيره.

القرظي: نزلت في عشرة أنا أحدهم<sup>(١)</sup>. وقال عروة بن الزبير: نزلت في النجاشي وأصحابه ووجه باثني عشر رجلاً فجلسوا مع النبي ﷺ، وكان أبو جهل وأصحابه قريباً منهم، فأمنوا بالنبي ﷺ، فلما قاموا من عنده تبعهم أبو جهل ومن معه، فقال لهم: خيكم الله من ركب، وقبحكم من وفد، لم تلبثوا أن صدقتموه، وما رأينا ركباً أحمق منكم ولا أجهل؛ فقالوا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ لم نال أنفسنا رشداً ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد تقدم هذا في «المائدة» عند قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ [المائدة: ٨٣] مستوفى. وقال أبو العالية: هؤلاء قوم آمنوا بمحمد ﷺ قبل أن يبعث وقد أدركه بعضهم<sup>(٣)</sup>. ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي من قبل القرآن. وقيل: من قبل محمد عليه السلام ﴿هُمْ بِهِ﴾ أي بالقرآن أو بمحمد عليه السلام ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٦) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ﴿أي إذا قرئ عليهم القرآن قالوا صدقنا بما فيه ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ أي من قبل نزوله، أو من قبل بعثة محمد عليه السلام ﴿مُسْلِمِينَ﴾ أي موحدين، أو مؤمنين بأنه سيعث محمد وينزل عليه القرآن.

﴿أَوْلَيْكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>  
وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْلَغِي  
الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٥)</sup>

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿أَوْلَيْكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ ثبت في «صحيح مسلم» عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله عز وجل وحق سيده فله أجران ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاها ثم أديها فأحسن أديها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران»<sup>(٤)</sup> قال الشعبي للخراساني: خذ هذا الحديث بغير شيء، فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلى المدينة وخرجه البخاري أيضاً<sup>(٥)</sup>. قال علماؤنا: لما كان كل واحد من هؤلاء مخاطباً بأمرين من جهتين استحق كل واحد منهم أجرين؛ فالكتابي كان مخاطباً من جهة نبيه، ثم أنه خوطب من جهة نبيتنا فأجابها واتبعه فله أجر الملتين، وكذلك العبد هو مأمور من جهة الله تعالى ومن جهة سيده، ورب الأمة لما قام بما خوطب به من تربيته أمته وأديها فقد أحياء إحياء التريبة، ثم إنه لما أعتقها وتزوجها أحياء إحياء الحرية التي ألحقها فيه بمنصبه، فقد قام بما أمر فيها، فأجر كل واحد منهما أجرين. ثم إن كل واحد من الأجرين مضاعف في نفسه، الحسنة بعشر أمثالها فتضاعف الأجر. ولذلك قيل: إن العبد الذي يقوم بحق سيده وحق الله تعالى أفضل من الحر، وهو الذي ارتضاه أبو عمر بن عبد البر

(١) صحيح: الهيثمي (٧/ ٨٨) في المجمع وقال: «رجال ثقاة».

قلت: وانظر: الطبري (٢٠/ ٨٩) في تفسيره.

(٢) مرسل: وسبق في سورة المائدة عند الآية (٨٣).

(٣) انظر: فتح القدير (٤/ ٢٥٠) للشوكاني.

(٤، ٥) متفق عليه: البخاري (٩٧) في العلم، ومسلم (١٥٤) في الإيمان.

وغيره. وفي الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «للعبد المملوك المصلح أجران» (١)، والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك. قال سعيد بن المسيّب: وبلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبته. وفي الصحيح أيضاً عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «نعماً للمملوك أن يتوفى بحسن عبادة الله وصحابة سيده نعماً له» (٢).

الثانية: قوله تعالى: ﴿صَبْرُوا﴾ عام في صبرهم على ملتهم، ثم على هذه وعلى الأذى الذي يلقيه من الكفار وغير ذلك.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ أي يدفعون. درأت إذا دفعت، والدرء الدفع. وفي الحديث: «ادرؤوا الحدود بالشبهات» (٣). قيل: يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن الأذى. وقيل: يدفعون بالتوبة والاستغفار الذنوب؛ وعلى الأول فهو وصف لمكارم الأخلاق؛ أي من قال لهم سوءاً لا يتوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه. فهذه آية مهادنة، وهي من صدر الإسلام، وهي مما نسختها آية السيف وبقي حكمها فيما دون الكفر يتعاطاه أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة. ومنه قوله عليه السلام لمعاذ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» (٤) ومن الخلق الحسن دفع المكروه والأذى، والصبر على الجفا بالإعراض عنه ولين الحديث.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أثنى عليهم بأنهم ينفقون من أموالهم في الطاعات وفي رسم الشرع، وفي ذلك حض على الصدقات. وقد يكون الإنفاق من الأبدان بالصوم والصلاة؛ ثم مدحهم أيضاً على إعراضهم عن اللغو؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ أي إذا سمعوا ما قال لهم المشركون من الأذى والشتم أعرضوا عنه؛ أي لم يشتغلوا به ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ أي متاركة؛ مثل قوله: ﴿إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] أي لنا ديننا ولكم دينكم. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي أمناً لكم منا فإننا لا نحاربكم، ولا نسابكم، وليس من التحية في شيء. قال الزجاج: وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ أي لا تطلبهم للجدال والمراجعة والمشاغمة.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥)

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ قال الزجاج: أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب.

قلت: والصواب أن يقال أجمع جل المفسرين على أنها نزلت في شأن أبي طالب عم النبي ﷺ،

(١) متفق عليه : وقد سبق.

(٢) متفق عليه : البخاري (٢٥٤٩) في الخصومات ، ومسلم (٦٦٧) في الإيمان .

(٣) ضعيف : الترمذي (١٤٢٤) في الحدود ، عن عائشة - رضي الله عنها - وضعفه الألباني هناك ، و (٣٥٧٠) في المشكاة .

(٤) حسن : وقد سبق .

وهو نص البخاري ومسلم<sup>(١)</sup>، وقد تقدّم ذلك في «التوبة». وقال أبو روق قوله: «وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» إشارة إلى العباس<sup>(٢)</sup>. وقاله قتادة. «وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» قال مجاهد: لمن قدر له أن يهتدي. وقيل: معنى «مَنْ أَحْبَبْتُ» أي من أحببت أن يهتدي. وقال جبير بن مطعم: لم يسمع أحد الوحي يلقى على النبي ﷺ إلا أبا بكر الصديق فإنه سمع جبريل وهو يقول: يا محمد اقرأ: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» .

﴿ وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهَيْدَىٰ مَعَكَ تَتَخَفَّ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُنَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ؕ آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَذَٰلِكَ أَهْلَكْنَا مِنَ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَمِنَّا مَسْكِئُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

قوله تعالى: «وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهَيْدَىٰ مَعَكَ تَتَخَفَّ مِنْ أَرْضِنَا» هذا قول مشركي مكة. قال ابن عباس: قائل ذلك من قريش الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف القرشي قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن قولك حق، ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك، ونؤمن بك، مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا يعني مكة لاجتماعهم على خلافنا، ولا طاقة لنا بهم<sup>(٣)</sup>. وكان هذا من تعللاتهم؛ فأجاب الله تعالى عما اعتلّ به فقال: «أَوْ لَمْ نُنَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ؕ آمِنًا» أي ذا أمن. وذلك أن العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون حيث كانوا بحرمة الحرم، فأخبر أنه قد آمنهم بحرمة البيت، ومنع عنهم عدوهم، فلا يخافون أن تستحل العرب حرمة في قتالهم. والتخطف الانتزاع بسرعة؛ وقد تقدّم. قال يحيى بن سلام يقول: كنتم آمنين في حرمي، تأكلون رزقي، وتعبدون غيري، أفتخافون إذا عبدتموني وأمتم بي. «يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ» أي يُجْمَع إليه ثمرات كل أرض وبلد؛ عن ابن عباس وغيره. يقال: جبى الماء في الحوض أي جمعه. والجبابة الحوض العظيم. وقرأ نافع: «تُجْبَىٰ» بالتاء<sup>(٤)</sup>؛ لأجل الثمرات. الباقون بالياء؛ لقوله: «كُلِّ شَيْءٍ» واختاره أبو عبيد. قال: لأنه حال بين الاسم المؤنث وبين فعله حائل، وأيضاً فإن الثمرات جمع، وليس بتأنيث حقيقي. «رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا» أي من عندنا «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» أي لا يعقلون؛ أي هم غافلون عن الاستدلال، وأن من رزقهم وأمنهم فيما مضى حال كفرهم يرزقهم لو أسلموا، ومنع الكفار عنهم في إسلامهم. و«رِزْقًا» نصب على المفعول من أجله. ويجوز نصبه على المصدر بالمعنى؛ لأن معنى: «تُجْبَىٰ» ترزق. وقرئ «يُجْبَىٰ» بالنون من الجنا، وتعديته بالياء كقولك يجنى إلى فيه ويجنى إلى الخافقة<sup>(٥)</sup>.

(١) متفق عليه: وقد سبق عند الآية (١١٣) من سورة التوبة.

(٢) هذا مخالف للإجماع، والأول أصح، وقد روي عن قتادة تفسير أنه قال: ذكر لنا أنها نزلت في أبي طالب، وانظر: النكت والعيون (٣/٢٣٤).

(٣) ضعيف: فيه عن عترة ابن جريج وهو مدلس. الطبري (٢٠/٥٩) في تفسيره، ورواه النسائي (٤٠٥) في التفسير من طريق منقطع، عن عمرو بن شعيب، عن ابن عباس به.

(٤) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٥٦).

(٥) الخافقة: وعاء الحب، وسميت بذلك لأنها وقاية له، وهي أيضاً العيبة، وتُطْلَق على الجبة (الثوب) التي يلبسها العسال. وانظر: النهاية (٢/٨٨) لابن الأثير.

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ بين لمن توهم أنه لو آمن لقاتلته العرب أن الخوف في ترك الإيمان أكثر؛ فكم من قوم كفروا ثم حل بهم البوار، والبطر الطغيان بالنعمة؛ قاله الزجاج ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ أي في معيشتها فلما حذف «في» تعدى الفعل؛ قاله المازني. الزجاج كقولهِ: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: ١٥٥] الفراء: هو منصوب على التفسير، قال: كما تقول: أبطرت مالك وبطرته ونظيره عنده: ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] وكذا عنده: ﴿فَإِنْ طِبَّنَا لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء: ٤٠] ونصب المعارف على التفسير محال عند البصريين؛ لأن معنى التفسير والتمييز أن يكون واحداً نكرة يدل على الجنس. وقيل: انتصب بـ ﴿بَطَرَتْ﴾ ومعنى: ﴿بَطَرَتْ﴾ جهلت؛ فالمعنى: جهلت شكر معيشتها. ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لم تسكن بعد إهلاك أهلها إلا قليلاً من المساكن وأكثرها خراب. والاستثناء يرجع إلى المساكن أي بعضها يسكن؛ قاله الزجاج. واعترض عليه؛ فقيل: لو كان الاستثناء يرجع إلى المساكن لقال إلا قليل؛ لأنك تقول: القوم لم تضرب إلا قليل؛ ترفع إذا كان المضروب قليلاً، وإذا نصبت كان القليل صفة للمضرب؛ أي لم تضرب إلا ضرباً قليلاً، فالمعنى إذاً: فتلك مساكنهم لم يسكنها إلا المسافرون ومن مرّ بالطريق يوماً أو بعض يوم، أي لم تُسْكَنْ من بعدهم إلا سكوناً قليلاً. وكذا قال ابن عباس: لم يسكنها إلا المسافر أو مارّ الطريق يوماً أو ساعة. ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ أي لما خَلَفُوا بعد هلاكهم.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ وَمَا أَوْتِيَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ رُوِّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ أي القرى الكافر أهلها ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ﴾ قرى بضم الهمزة وكسرها لإتباع الجر يعني مكة. ﴿رُسُلًا﴾ يعني محمداً ﷺ. وقيل: ﴿فِي أُمَّهَاتِ﴾ يعني في أعظمها ﴿رُسُلًا﴾ ينذرهم. وقال الحسن: في أوائلها.

قلت: ومكة أعظم القرى لحرمتها وأولها، لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦] وخصت بالأعظم لبعثة الرسول فيها؛ لأن الرسل تبعث إلى الأشراف وهم يسكنون المدائن وهي أم ما حولها. وقد مضى هذا المعنى في آخر سورة «يوسف».

قوله تعالى: ﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ ﴿يَتْلُوا﴾ في موضع الصفة أي تالياً أي يخبرهم أن العذاب ينزل بهم إن لم يؤمنوا. ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى﴾ سقطت النون للإضافة مثل: ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] ﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ أي لم أهلكهم إلا وقد استحقوا الإهلاك لإصرارهم على الكفر بعد الإعذار إليهم وفي هذا بيان لعدله وتقديسه عن الظلم. أخبر تعالى أنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك بظلمهم، ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل، ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم. ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين، كما قال عز من قائل: ﴿وَمَا كَانَ

رَبِّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ ﴿١١٧﴾ [هود: ١١٧] فنصّ في قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ على أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلماً لهم منه، وأن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم، دلّ على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَا أوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يا أهل مكة ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا﴾ أي تمتعون بها مدة حياتكم، أو مدة في حياتكم، فيما أن تزولوا عنها أو تزول عنكم. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي أفضل وأدوم، يريد الدار الآخرة وهي الجنة. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن الباقي أفضل من الفاني. قرأ أبو عمرو: «يَعْقِلُونَ» بالياء. الباقي بالتاء على الخطاب<sup>(١)</sup> وهو الاختيار لقوله تعالى: ﴿وَمَا أوتِيتُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَقْمِنَ وَعَدَنَاهُ وَعَدَا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ يعني الجنة وما فيها من الثواب. ﴿كَمَنْ مَتَّعَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فأعطي منها بعض ما أراد. ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ أي في النار، ونظيره قوله: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصفات: ٥٧]. قال ابن عباس: نزلت في حمزة بن عبد المطلب، وفي أبي جهل بن هشام<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد: نزلت في النبي ﷺ وأبي جهل<sup>(٣)</sup>. وقال محمد ابن كعب: نزلت في حمزة وعلي، وفي أبي جهل وعمارة بن الوليد<sup>(٤)</sup>. وقيل: في عمار والوليد بن المغيرة؛ قاله السدي<sup>(٥)</sup>. قال القشيري: والصحيح أنها نزلت في المؤمن والكافر على التعميم. الثعلبي: وبالجملة فإنها نزلت في كل كافر متع في الدنيا بالعافية والغنى وله في الآخرة النار، وفي كل مؤمن صبر على بلاء الدنيا ثقة بوعده الله وله في الآخرة الجنة.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٣٠﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿١٣١﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْهَتُونَ ﴿١٣٢﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٣٤﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَحَسْبَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي ينادي الله يوم القيامة هؤلاء المشركين ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ بزعمكم أنهم ينصرونكم ويشفعون لكم ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي حقت عليهم كلمة العذاب وهم الرؤساء<sup>(٦)</sup>؛ قاله الكلبي. وقال قتادة: هم الشياطين<sup>(٧)</sup>. ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾

(١) قرأه تان متواترتان : تقريب النشر (ص ١٠٤).

(٢) لم أهد إليه مستنداً ، والمسنود هو التالي.

(٣) فيه أبان بن تغلب ، وهو ثقة تكلموا فيه للتشيع ، وروي له مسلم ، وهذا مرسل ، وانظر: تفسير الطبري (٢٠٠/٢٠).

(٤) ٩٨ ، ورواه الواحدى (ص ٢٨٤) في أسباب النزول .

(٥) البغوي (٦/ ٢١٧) في تفسيره غير مسند .

(٦) الواحدى (ص ٢٨٤) في أسباب النزول ، عن السدي معلقاً ، ووصله ابن أبي حاتم (١١/ ٣٣٢) في تفسيره .

(٧) فتح القدير (٤/ ٢٥٥) للشوكاني .

أي دعوناهم إلى الغي فليل لهم: أغويتموهم؟ قالوا: ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ يعنون أأضللناهم كما كنا ضالين. ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ أي تبرأ بعضنا من بعض، والشياطين يتبرؤون ممن أطاعهم، والرؤساء يتبرؤون ممن قبل منهم؛ كما قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ﴾ أي للكفار ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي استغيثوا بالهتكم التي عبدتموها في الدنيا لتنصركم وتدفع عنكم ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ أي استعانوا بهم ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ أي فلم يجيبوهم ولم يتفقوا بهم ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ قال الزجاج: جواب ﴿لَوْ﴾ محذوف؛ والمعنى: لو أنهم كانوا يهتدون لانجأهم الهدى، ولما صاروا إلى العذاب. وقيل: أي لو أنهم كانوا يهتدون ما دعوهم. وقيل المعنى: ودوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا إذا رأوا العذاب يوم القيامة. ﴿مَاذَا أُجِيتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي يقول الله لهم: ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين لما بلغوكم رسالاتي. ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي خفيت عليهم الحجج؛ قاله مجاهد<sup>(١)</sup>؛ لأن الله قد أعذر إليهم في الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة. و﴿الْأَنْبَاءُ﴾ الأخبار؛ سمى حججهم أنباء لأنها أخبار يخبرونها. ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن الحجج؛ لأن الله تعالى أذحض حججهم؛ قاله الضحاك. وقال ابن عباس: ﴿لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي لا ينطقون بحجة. وقيل: ﴿لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ في تلك الساعة، ولا يدرون ما يجيبون به من هول تلك الساعة، ثم يجيبون بعد ذلك كما أخبر عن قولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. وقال مجاهد: لا يتساءلون بالأنساب<sup>(٢)</sup>. وقيل: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل من ذنوبه شيئاً؛ حكاه ابن عيسى.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ أي من الشرك ﴿وَأَمَّنْ﴾ أي صدق ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض وأكثر من النوافل ﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ أي من الفائزين بالسعادة. وعسى من الله واجبة.

﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَنُونَ ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْاَحْمَدُ فِي الْاُولَىٰ وَالْاٰخِرَةَ وَلَهُ الْاَحْكَمُ وَاِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ هذا متصل بذكر الشركاء الذين عبدوهم واختاروهم للشفاعة؛ أي الاختيار إلى الله تعالى في الشفاعة لا إلى المشركين، وقيل: هو جواب الوليد بن المغيرة حين قال: ﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتِينَ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يعني نفسه زعم، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف<sup>(٣)</sup>. وقيل: هو جواب اليهود إذ قالوا: لو كان الرسول إلى محمد غير جبريل لآمنا به. قال ابن عباس: والمعنى؛ وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار منهم من يشاء لطاعته، وقال يحيى بن سلام: والمعنى؛ وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار من يشاء لنبوته. وحكى النقاش: أن المعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه يعني محمداً ﷺ، ويختار الأنصار لدينه. قلت: وفي كتاب البزّار مرفوعاً صحيحاً عن جابر: «إن الله تعالى اختار أصحابي على العالمين

(١) صحيحان إليه: الطبري (٢٠ / ١٠٠) في تفسيره.

(٢) ذكره الواحدى (ص ٢٨٤) في أسباب النزول معلقاً بلا سند.

سوى النبيين والمرسلين واختار لي من أصحابي أربعة يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فجعلهم أصحابي وفي أصحابي كلهم خير واختار أمّتي على سائر الأمم واختار لي من أمّتي أربعة قرون (١). وذكر سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن وهب بن منبه عن أبيه في قوله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ قال: من النعم الضأن، ومن الطير الحمام. والوقف التام على ﴿يَخْتَارُ﴾. وقال علي بن سليمان: هذا وقف التمام ولا يجوز أن تكون ﴿مَا﴾ في موضع نصب بـ﴿يَخْتَارُ﴾ لأنها لو كانت في موضع نصب لم يعد عليها شيء. قال وفي هذا رد على القدرية. قال النحاس: التمام ﴿وَيَخْتَارُ﴾ أي ويختار الرسل.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ أي ليس يرسل من اختاروه هم. قال أبو إسحاق: ﴿وَيَخْتَارُ﴾ هذا الوقف التام المختار، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ في موضع نصب بـ﴿يَخْتَارُ﴾ ويكون المعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة. قال القشيري: الصحيح الأول لإطباقهم على الوقف على قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾. قال المهدي: وهو أشبه بمذهب أهل السنة و﴿مَا﴾ من قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ نفي عام لجميع الأشياء أن يكون للعبد فيها شيء سوى اكتسابه بقدرة الله عز وجل. الزمخشري: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ بيان لقوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾؛ لأن معناه يختار ما يشاء؛ ولهذا لم يدخل العاطف، والمعنى: إن الخيرة لله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها أي ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه. وأجاز الزجاج وغيره أن تكون ﴿مَا﴾ منصوبة بـ﴿يَخْتَارُ﴾. وأنكر الطبري أن تكون ﴿مَا﴾ نافية؛ لثلاثا يكون المعنى إنهم لم تكن لهم الخيرة فيما مضى وهي لهم فيما يستقبل، ولأنه لم يتقدم كلام بنفي. قال المهدي: ولا يلزم ذلك؛ لأن ﴿مَا﴾ تنفي الحال والاستقبال كليهما ولذلك عملت عملها؛ ولأن الآي كانت تنزل على النبي ﷺ على ما يسأل عنه، وعلى ما هم مصررون عليه من الأعمال وإن لم يكن ذلك في النص. وتقدير الآية عند الطبري: ويختار لولايته الخيرة من خلقه؛ لأن المشركين كانوا يختارون خيار أموالهم فيجعلونها لأهلتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ للهداية من خلقه من سبقت له السعادة في علمه، كما اختار المشركون خيار أموالهم لأهلتهم، فـ﴿مَا﴾ على هذا لمن يعقل وهي بمعنى الذي و﴿الْخَيْرَةُ﴾ رفع بالابتداء و﴿لَهُمْ﴾ الخبر والجملة خبر ﴿كَانَ﴾. وشبهه بقولك: كان زيد أبوه منطلق وفيه ضعف؛ إذ ليس في الكلام عائد يعود على اسم كان إلا أن يقدر فيه حذف فيجوز على بعد. وقد روي معنى ما قاله الطبري عن ابن عباس (٢). قال الثعلبي: و﴿مَا﴾ نفي أي ليس لهم الاختيار على الله. وهذا أصوب كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. قال محمود الوراق:

أردت فإن الله يقضي ويقدر  
يصبه وما للعبد ما يتخير  
وينجو بحمد الله من حيث يحذر

توكل على الرحمن في كل حاجة  
إذا ما يرد ذو العرش أمراً بعبد  
وقد يهلك الإنسان من وجه حذره

وقال آخر:

والدهر ذو دُول والرِّزْقُ مقسومُ  
وفي اختيار سواه اللُّومُ والشُّومُ

العبد ذو ضَجَرٍ والرَّبُّ ذو قَدَرٍ  
والخيرُ أجمعُ فيما اختار خالقنا

(١) حسن: الهيثمي (١٠/١٦) في مجمع الزوائد وعزاه للبيزار، وقال: «رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف».

(٢) ضعيف: الطبري (١٠٢/٢٠) من طريق العوفيين.

قال بعض العلماء لا ينبغي لأحد أن يقدم على أمر من أمور الدنيا حتى يسأل الله الخيرة في ذلك؛ بأن يصلي ركعتين صلاة الاستخارة، يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الركعة الثانية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ واختار بعض المشايخ أن يقرأ في الركعة الأولى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ الآية، وفي الركعة الثانية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الاحزاب: ٣٦] وكلٌ حسن. ثم يدعو بهذا الدعاء بعد السلام، وهو ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن؛ يقول: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيُرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ إِن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِنِي بِهِ» (١) قال: ويسمي حاجته. وروى عائشة عن أبي بكر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان إذا أراد أمراً قال: «اللَّهُمَّ خِرْ لِي وَاخْتِرْ لِي» (٢). وروى أنس أن النبي ﷺ قال: يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر إلى ما يسبق قلبك فإن الخير فيه» (٣). قال العلماء: وينبغي له أن يفرغ قلبه من جميع الخواطر حتى لا يكون مائلاً إلى أمر من الأمور، فعند ذلك ما يسبق إلى قلبه يعمل عليه، فإن الخير فيه إن شاء الله. وإن عزم على سفر فيتوخى بسفره يوم الخميس أو يوم الاثنين اقتداء برسول الله ﷺ. ثم نزه نفسه سبحانه بقوله الحق؛ فقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ» أي تنزيهاً. «وَتَعَالَى» أي تقدس وتمجد «عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤) رَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ» يظهرون. وقرأ ابن محيصة وحמיד: «تَكُنُّ» بفتح التاء وضم الكاف. وقد تقدم هذا في «النمل». تمدح سبحانه بأنه عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء «وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» تقدم معناه، وأنه المنفرد بالوحدانية، وأن جميع المحامد إنما تجب له، وأن لا حكم إلا له وإليه المصير.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءً أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِي جَعَلْتُ لَكُمْ أَيْلًا وَالنَّهَارَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِي وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿

(١) صحيح: البخاري (١١٦٦) في التهجد.

(٢) ضعيف: الترمذي (٣١٥٦) في الدعوات، وضعفه الألباني هناك، وانظر: ضعيف الجامع (٤٣٣٥)، وابن السنن (٥٩٧) بترقيمي وتحقيقي - وضعفه هناك.

(٣) ضعيف: ابن السنن (٥٩٨) بترقيمي وتحقيقي - وقال النووي (٣٥٨): «وإسناده غريب، فيه من لم نعرفهم»، وقال السيوطي (٣٧/ ١) و (٣٧/ ٣) في تحفة الأبرار: «قال العراقي: هم معروفون - يعني رواته - لكن فيهم من هو معروف بالضعف الشديد».

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ أي دائماً.

ومنه قول طرفة:

لعمرك ما أمري عليّ بغمّةٍ      نهاري ولا ليالي عليّ بسرمدٍ

بين سبحانه أنه مهد أسباب المعيشة ليقوموا بشكر نعمه. ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ﴾ أي بنور تطلبون فيه المعيشة. وقيل: بنهار تبصرون فيه معاشكم وتصلح فيه العمار والنبات. ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سماع فهم وقبول. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُونُ فِيهِ﴾ أي تستقرون فيه من النصب. ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ما أنتم فيه من الخطأ في عبادة غيره؛ فإذا أقرتم بأنه لا يقدر على إيتاء الليل والنهار غيره فلم تشركون به. ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي فيهما. وقيل: الضمير للزمان وهو الليل والنهار. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي لتطلبوا من رزقه فيه أي في النهار فحذف. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٦﴾ وَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أعاد هذا الضمير لاختلاف الحالين، ينادون مرة فيقال لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فيدعون الأصنام فلا يستجيبون، فتظهر حيرتهم، ثم ينادون مرة أخرى فيسكتون. وهو توبيخ وزيادة خزي. والمناداة هنا ليست من الله؟ لأن الله تعالى لا يكلم الكفار لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: ١٧٤] لكنه تعالى يأمر من يوبخهم ويكلمهم، ويقسم الحجة عليهم في مقام الحساب. وقيل: يحتمل أن يكون من الله وقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ حين يقال لهم ﴿اٰخِسُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] وقال: ﴿شُرَكَائِيَ﴾ لأنهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم.

قوله تعالى: ﴿وَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي نبياً؛ عن مجاهد<sup>(١)</sup>. وقيل: هم عدول الآخرة يشهدون على العباد بأعمالهم في الدنيا. والأول أظهر؛ لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] وشهيد كل أمة رسولها الذي يشهد عليها. والشهيد الحاضر. أي أحضرنا رسولهم المبعوث إليهم. ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أي حجتكم. ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي علموا صدق ما جاءت به الأنبياء. ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي ذهب عنهم وبطل. ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي يختلقونه من الكذب على الله تعالى من أن معه آلهة تعبد.

﴿إِنَّ قَرُونًا كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبِعَىٰ عَلَيْهِمْ وَعَآتَيْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ

(١) صحيح إليه: ولكن بلفظ: رسولا كما في تفسير الطبري (٢٠ / ١٠٥)، وكذا رواه ابن أبي حاتم (١١ / ٣٤٢) في تفسيره.

الذَّارِ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ  
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٧﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ لما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا﴾ [القصص: ٦٠] بين أن قارون أوتىها واغتر بها ولم تعصمه من عذاب الله كما لم تعصم فرعون، ولستم أيها المشركون بأكثر عدداً ومالاً من قارون وفرعون، فلم ينفع فرعون جنوده وأمواله، ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا كتوزه. قال النخعي وقتادة وغيرهما (١): كان ابن عم موسى لَحًا (٢)؛ وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وموسى بن عمران بن قاهث. وقال ابن إسحاق: كان عم موسى لأب وأم. وقيل: كان ابن خالته. ولم ينصرف للعجمه والتعريف. وما كان على وزن فاعول أعجمياً لا يحسن فيه الألف واللام لم ينصرف في المعرفة وانصرف في النكرة، فإن حسنت فيه الألف واللام انصرف إن كان اسماً لمذكر نحو طائوس وراقود. قال الزجاج: ولو كان قارون من قرنت الشيء لانصرف. ﴿فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ﴾ بغيه أنه زاد في طول ثوبه شبراً؛ قاله شهر بن حوشب. وفي الحديث: «لا ينظر الله إلى من جرّ إزاره بطراً» (٣) وقيل: بغيه كفره بالله عز وجل؛ قاله الضحاك. وقيل: بغيه استخفافه بهم بكثرة ماله وولده؛ قاله قتادة. وقيل: بغيه نسبه ما أتاه لله من الكنوز إلى نفسه بعلمه وحيلته؛ قاله ابن بحر. وقيل: بغيه قوله إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان في هارون فما لي فروي أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة لموسى والخبيرة لهارون؛ يقرب القربان ويكون رأساً فيهم، وكان القربان لموسى فجعله موسى إلى أخيه، وجد قارون في نفسه وحسدهما. فقال لموسى: الأمر لكما وليس لي شيء إلى متى أصبر. قال موسى؛ هذا صنع الله. قال: والله لا أصدقك حتى تأتي بآية؛ فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد منهم بعصاه، فحزمتها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها، وكانوا يحرسون عصيتهم بالليل، فأصبحوا وإذا بعصا هارون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون: ما هو بأعجب مما تصنع من السحر.

﴿فَبَقِيَ عَلَيْهِمْ﴾ من البغي وهو الظلم. وقال يحيى بن سلام وابن المسيب: كان قارون غنياً عاملاً لفرعون على بني إسرائيل فتعدى عليهم وظلمهم وكان منهم. وقول سابع: روي عن ابن عباس قال: لما أمر الله تعالى بجرم الزاني عمد قارون إلى امرأة بغي وأعطها مالاً، وحملها على أن ادعت على موسى أنه زنى بها وأنه أحبها؛ فعظم على موسى ذلك وأحلفها بالله الذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت. فتداركها الله فقالت: أشهد أنك بريء، وأن قارون أعطاني مالاً، وحملني على أن قلت ما قلت، وأنت الصادق وقارون الكاذب. فجعل الله أمر قارون إلى موسى وأمر الأرض أن تطيعه. فجاءه وهو يقول للأرض: يا أرض خذيه؛ وهي تأخذه شيئاً فشيئاً

(١) صحيح إلهما: تفسير الطبري (٢٠ / ١٠٦)، وابن أبي حاتم (١١ / ٣٤٥) في تفسيره عن قتادة، وأشار إلى رواية إبراهيم النخعي هذه.

(٢) لَحًا: لازق النسب، قصد: ابن عمه موسى أخي أبيه. اللسان «لح».

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٧٨٨) في اللباس، ومسلم (٢٠٨٧) في اللباس، عن أبي هريرة - رضي الله عنه.

وهو يستغيث: يا موسى إلى أن ساخ في الأرض هو وداره وجلساؤه الذين كانوا على مذهبه (١). وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى: استغاث بك عبادي فلم ترحمهم، أما أنهم لو دعوني لوجدوني قريباً مجيباً. ابن جريج: بلغنا أنه يخسف بهم كل يوم قامة، فلا يبلغون إلى أسفل الأرض إلى يوم القيامة (٢). وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج: حدثني إبراهيم بن راشد قال: حدثني داود بن مهران، عن الوليد بن مسلم، عن مروان بن جناح، عن يونس بن ميسرة بن حبّس قال: لقي قارون يونس في ظلمات البحر، فنأدى قارون يونس، فقال: يا يونس تب إلى الله فإنك تجده عند أول قدم ترجع بها إليه. فقال يونس: ما منعك من التوبة؟ فقال: إن تويتي جعلت إلى ابن عمي فأبى أن يقبل مني (٣). وفي الخبر: إذا وصل قارون إلى قرار الأرض السابعة نفخ إسرافيل في الصور. والله أعلم. قال السدي: وكان اسم البغي سبرتا، وبذل لها قارون ألفي درهم. قتادة: وكان قطع البحر مع موسى وكان يسمى المنور من حسن صورته في التوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري.

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ قال عطاء: أصاب كثيراً من كنوز يوسف عليه السلام (٤). وقال الوليد بن زروان (٥): إنه كان يعمل الكيمياء (٦). ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ «إِنَّ» واسمها وخبرها في صلة ﴿مَا﴾ و«ما» مفعولة ﴿أَتَيْنَاهُ﴾. قال النحاس: وسمعت علي بن سليمان يقول ما أقبح ما يقول الكوفيون في الصلوات؛ إنه لا يجوز أن تكون صلة الذي وأخواته ﴿إِنَّ﴾ وما عملت فيه، وفي القرآن ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾. وهو جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به. ومن قال مفتاح قال مفاتيح. ومن قال هي الخزائن فواحدها مفتاح بالفتح. ﴿لَتَتَوَّأ بِالْعَصْبَةِ﴾ أحسن ما قيل فيه أن المعنى لتنيء العصبة أي تميلهم بثقلها، فلما انفتحت التاء دخلت الباء. كما قالوا هو يذهب بالبؤس ويذهب البؤس. فصار ﴿لَتَتَوَّأ بِالْعَصْبَةِ﴾ فجعل العصبة تنوء أي تنهض متناقلة؛ كقولك قم بنا أي اجعلنا نقوم. يقال: ناء بنوء نوءاً إذا نهض بثقل. قال الشاعر:

تنوء بأخراها فلأياً قيامها  
وتمشي الهوييني عن قريب فتبهر

(١) حسن إلى ابن عباس - رضي الله عنهما: تفسير الطبري (٢٠ / ١١٧)، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد ابن جبير عنه به.

ورواه من طرق أخرى عديدة وهذا هو أصح إسناد فيها والطريق الآخر يشهد له.  
وانظر: تفسير الطبري (٢٠ / ١١٧).

(٢) انظر قوله عند الطبري (٢٠ / ١١٩) في تفسيره، ونحوه عن مالك بن دينار.

(٣) منكر باطل، ولا يصح: في الحديث مروان بن جناح: اتهمه ابن حبان على تساهله، وقيل: ليس بقوى، وفيه تنعنة الوليد وهو يدلّس تديّس التسوية، وهو مقطوع على يونس بن ميسرة بن حبّس الجيلاني، وهو من الطبقة الوسطى من التابعين، وهو ثقة عابد.

ورواه ابن أبي الدنيا برقم (٣٥) في الفرج بعد الشدة.

(٤) ضعيف: ابن أبي حاتم (١١ / ٣٤٧) في تفسيره من طريق عثمان بن عطاء، عن أبيه وعثمان ضعيف.

(٥) في المطبوعات: «مروان»، والصواب ما أثبتته كما في المصدر التالي.

(٦) ذكره ابن أبي حاتم (١١ / ٣٤٨) في تفسيره.

وقال آخر:

أخذتُ فلم أملك ونوتُ فلم أقمُ كَأنيّ من طول الزمان مقيدُ  
وأنا نبي إذا أثقلني؛ عن أبي زيد. وقال أبو عبيدة: قوله «نُتِئُوا بِالْعُصْبَةِ» مقلوب، والمعنى لتنوء  
بها العصبة أي تنهض بها. أبو زيد: نوت بالحمل إذا نهضت. قال الشاعر:

إنا وجدنا خَلْفًا بئس الخَلْفُ      عبداً إذا ما ناء بالحمل وقف

والأول معنى قول ابن عباس وأبي صالح السدي. وهو قول القرّاء واختاره النحاس. كما يقال:  
ذهبت به وأذهبت به وجئت به وأجأته ونوت به وأنأته؛ فأما قولهم: له عندي ما ساءه وناءه فهو إتباع  
كان يجب أن يقال وأناه. ومثله هنائي الطعام ومرائي، وأخذه ما قدم وما حدث. وقيل: هو مأخوذ  
من النأي وهو البعد. ومنه قول الشاعر:

يَنَأُونَ عَنَا وَمَا تَنَأَى مَوَدَّتَهُمُ      فالقلبُ فيهم رهينٌ حيثما كانوا

وقرأ بدليل بن ميسرة: «لَيَنُوءُ» بالياء؛ أي لينوء الواحد منها أو المذكور فحمل على المعنى. وقال  
أبو عبيدة: قلت لرؤبة بن العجاج في قوله:

فيها خطوطٌ من سوادٍ وبلقٌ      كأنّه في الجلدِ تَوَلَّيعُ البَهَقِ

إن كنت أردت الخطوط فقل كأنها، وإن كنت أردت السواد والبلق فقل كأنهما. فقال: أردت كل  
ذلك. واختلف في العصبة وهي الجماعة التي يتعصب بعضهم لبعض على أحد عشر قولاً: الأول:  
ثلاثة رجال؛ قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>. وعنه أيضاً من الثلاثة إلى العشرة<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد: العصبة هنا ما  
بين العشرين إلى خمسة عشر<sup>(٣)</sup>. وعنه أيضاً: ما بين العشرة إلى الخمسة عشر<sup>(٤)</sup>. وعنه أيضاً: من  
عشرة إلى خمسة. ذكر الأول الثعلبي، والثاني القشيري والماوردي، والثالث المهدي. وقال أبو صالح  
والحكم بن عتيبة وقتادة والضحاك: أربعون رجلاً<sup>(٥)</sup>. السدي ما بين العشرة إلى الأربعين. وقاله  
قتادة أيضاً. وقال عكرمة: منهم من يقول أربعون، ومنهم من يقول سبعون. وهو قول أبي صالح إن  
العصبة سبعون رجلاً<sup>(٦)</sup>؛ ذكره الماوردي. والأول ذكره عنه الثعلبي. وقيل: ستون رجلاً. وقال  
سعيد بن جبير: ست أو سبع<sup>(٧)</sup>. وقال عبد الرحمن بن زيد: ما بين الثلاثة والتسعة وهو النفر<sup>(٨)</sup>.  
وقال الكلبي: عشرة لقول إخوة يوسف «وَنَحْنُ عُصْبَةٌ» [يوسف: ٨] وقاله مقاتل. وقال خيشمة:  
وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلاً غراء محجلة، وأنها لتنوء بها من ثقلها،  
ما يزيد مفتاح منها على إصبع، لكل مفتاح منها كتر مال، لو قسم ذلك الكتر على أهل البصرة  
لكفاهم. قال مجاهد: كانت المفاتيح من جلود الإبل<sup>(٩)</sup>. وقيل: من جلود البقر لتخف عليه، وكانت  
تحمل معه إذا ركب على سبعين بغلاً فيما ذكره القشيري. وقيل: على أربعين بغلاً. وهو قول

(١، ٢) ضعيف: فيه جابر بن نوح، وهو ضعيف، والضحاك، عن ابن عباس وهو منقطع ورواه الطبري (٢٠/٢٠)

(١٠٨) في تفسيره .

(٣، ٤) صحيح إليه: السابق (٢٠/١٠٩).

(٥) صحيح إليهم: السابق (٢٠/١٠٨).

(٦ - ٨) تفسير ابن أبي حاتم (١١/٣٤٨، ٣٤٩)، والطبري (٢٠/١٠٩) في تفسيره .

(٩) تفسير الطبري (٢٠/١٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (١١/٣٤٨).

الضحك. وعنه أيضاً: إن مفاتحه أوعيته<sup>(١)</sup>. وكذا قال أبو صالح: إن المراد بالمفاتح الخزائن<sup>(٢)</sup>؛ فالله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ أي المؤمنون من بني إسرائيل؛ قاله السدي. وقال يحيى بن سلام: القوم هنا موسى. وقال الفراء: وهو جمع أريد به واحد كقوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وإنما هو نعيم بن مسعود<sup>(٣)</sup> على ما تقدم. ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ أي لا تأثر ولا تبطر. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي البطرين؛ قاله مجاهد والسدي<sup>(٤)</sup>. قال الشاعر:

ولست بمفراح إذا الدهر سرنى ولا ضارع في صرفه المتقلب

وقال الزجاج: المعنى لا تفرح بالمال فإن الفرح بالمال لا يؤدي حقه. وقال مبشر بن عبد الله: لا تفرح لا تفسد. قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانةً وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

أي أفسدتك. وقال أبو عمرو: أفرحه الدين أنقله. وأنشده:

إذا أنت . . . البيت

وأفرحه سره فهو مشترك. قال الزجاج: والفرحين والفرحين سواء. وفرق بينهما الفراء فقال: معنى الفرحين الذين هم في حال فرح، والفرحين الذين يفرحون في المستقبل. وزعم أن مثله طمع وطامع وميت وماتت. ويدل على خلاف ما قال قول الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ولم يقل مائت. وقال مجاهد أيضاً: معنى ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبغ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ أي الباغين<sup>(٥)</sup>. وقال ابن بحر: لا تبخل إن الله لا يحب الباخلين.

قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنة؛ فإن من حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في التجبر والبغي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ اختلف فيه؛ فقال ابن عباس والجمهور: لا تضيع عمرك في ألا تعمل عملاً صالحاً في دنياك؛ إذ الآخرة إنما يعمل لها<sup>(٦)</sup>، فنصيب الإنسان عمره وعمله الصالح فيها. فالكلام على هذا التأويل شدة في الموعظة. وقال الحسن وقتادة: معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتع بالحلل وطلبك إياه<sup>(٧)</sup>، ونظرك لعاقبة دنياك. فالكلام على هذا التأويل فيه بعض الرفق به وإصلاح الأمر الذي يشتهي. وهذا مما يجب استعماله مع الموعوظ خشية النبوة من الشدة؛ قاله ابن عطية. قلت: وهذان التأويلان قد جمعهما ابن عمر في قوله: احرت لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل

(١) الطبري (٢٠ / ١٠٧) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١١ / ٣٤٨) في تفسيره.

(٢) عند الآية (١٧٣) من سورة آل عمران.

(٣) ضعيف إلى مجاهد، وحسن إلى السدي: الطبري (٢٠ / ١١١) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١١ / ٣٥٠) في تفسيره.

(٤) فيه العوام بن حوشب وهو ضعيف: الطبري (٢٠ / ١١١) في تفسيره.

(٥) منقطع بين الأعمش وابن عباس - رضي الله عنهما: الطبري (٢٠ / ١١٢) في تفسيره، وقد رواه ابن أبي حاتم (١١ / ٣٥٢) في تفسيره، عن الأعمش، عن رجل، عن ابن عباس، والأعمش مدلس، فكيف وقد أبهم

الراوى وعنن؟ وروى أيضاً من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٧) ذكره الطبري (٢٠ / ١١٢، ١١٣) في تفسيره.

لآخرتك كأنك تموت غدا<sup>(١)</sup>. وعن الحسن: قدّم الفضل، وأمسك ما يبلغ<sup>(٢)</sup>. وقال مالك: هو الأكل والشرب بلا سرف<sup>(٣)</sup>. وقيل: أراد بنصيبه الكفن. فهذا وعظ متصل؛ كأنهم قالوا: لا تنس أنك تركت جميع مالك إلا نصيبك هذا الذي هو الكفن. ونحو هذا قول الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله      رداء ان تلوّى فيهما وحنوط

وقال آخر:

وهي القناعة لا تبغي بها بدلا      فيها التعميم وفيها راحة البدن  
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها      هل راح منها بغير القطن والكفن

قال ابن العربي: وأبدع ما فيه عندي قول قتادة: ولا تنس نصيبك الخلال، فهو نصيبك من الدنيا وبإما أحسن هذا. ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي أطع الله وعبده كما أنعم عليك. ومنه الحديث: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه»<sup>(٤)</sup>، وقيل: هو أمر بصلة المساكين. قال ابن العربي: فيه أقوال كثيرة جماعها استعمال نعم الله في طاعة الله. وقال مالك: الأكل والشرب من غير سرف. قال ابن العربي: أرى مالكا أراد الرد على الغالين في العبادة والتشكف؛ فإن النبي ﷺ كان يحب الخلوة، ويشرب العسل، ويستعمل الشواء، ويشرب الماء البارد. وقد مضى هذا المعنى في غير موضع. ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي لا تعمل بالمعاصي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ يعني علم التوراة. وكان فيما روي من أقرأ الناس لها، ومن أعلمهم بها. وكان أحد العلماء السبعين الذين اختارهم موسى للميقات. وقال ابن زيد: أي إنما أوتيته لعلمه بفضلي ورضاه عني<sup>(٥)</sup>. فقوله: ﴿عِنْدِي﴾ معناه إن عندي أن الله تعالى آتاني هذه الكنوز على علم منه باستحقاقي إياها لفضل في. وقيل: أوتيته على علم من عندي بوجوه التجارة والمكاسب؛ قاله علي بن عيسى. ولم يعلم أن الله لو لم يسهل له اكتسابها لما اجتمعت عنده. وقال ابن عباس<sup>(٦)</sup>: على علم عندي بصنعة الذهب. وأشار إلى علم الكيمياء. وحكى النقاش: أن موسى عليه السلام علمه الثلث من صنعة الكيمياء، ويوشع الثلث، وهارون الثلث، فخدعهما قارون وكان على إيمانه حتى علم ما عندهما وعمل الكيمياء، فكثرت أمواله. وقيل: إن موسى علم الكيمياء ثلاثة؛ يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا، وقارون، واختار الزجاج القول الأول، وأنكر قول من قال إنه يعمل الكيمياء. قال: لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له. وقيل: إن موسى علم أخته علم الكيمياء،

(١) سبق تخريجه - وفيه (اعمل) بدل (احرث).

(٢) ضعيف: الطبري (٢٠ / ١١٣) في تفسيره.

(٣) انظر: البحر المحيط (٧ / ١٣٣) لأبي حيان - رحمه الله.

(٤) صحيح: مسلم (٨) في الإيمان، عن عمر - رضي الله عنه.

(٥) صحيح إليه أو حسن: الطبري (٢٠ / ١١٣) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١١ / ٣٥٥) في تفسيره.

(٦) لم أجده مستندا.

وكانت زوجة قارون، وعلمت أخت موسى قارون؛ والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي بالعذاب. ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي الأمم الخالية الكافرة. ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ أي للمال، ولو كان المال يدل على فضل لما أهلكهم. وقيل: القوة الآلات، والجمع الأعوان والأنصار، والكلام خرج مخرج التقرير من الله تعالى لقارون؛ أي ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمِ﴾ قارون ﴿أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ من القرون ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي لا يسألون سؤال استعاب كما قال: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤]، ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤]، وإنما يسألون سؤال تقرير وتوبيخ لقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] قاله الحسن. وقال مجاهد: لا تسأل الملائكة غداً عن المجرمين؛ فإنهم يعرفون بسيماهم، فإنهم يحشرون سود الوجوه زرق العيون<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها، بل يدخلون النار بلا حساب<sup>(٢)</sup>. وقيل: لا يسأل مجرمو هذه الأمة عن ذنوب الأمم الخالية الذين عذبوا في الدنيا. وقيل: أهلك من أهلك من القرون عن علم منه بذنوبهم فلم يحتج إلى مسألته عن ذنوبهم.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلْكُكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٥٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ أي على بني إسرائيل فيما رآه زينة من متاع الحياة الدنيا من الثياب والدواب والتجمل في يوم عيد. قال الغزنوي: في يوم السبت.

قوله تعالى: ﴿فِي زِينَتِهِ﴾ أي مع زينته. قال الشاعر:

إذا ما قلوب القوم طارت مخافةً من الموت أرسوا بالنفوس المواجد

أي مع النفوس. كان خرج في سبعين ألفاً من تبعه، عليهم المعصفرات، وكان أول من صبغ له الثياب المعصفرة. قال السدي: مع ألف جوار بيض على بغال بيض بسروج من ذهب على قُطْف الأرجوان<sup>(٣)</sup>. قال ابن عباس: خرج على البغال الشهب<sup>(٤)</sup>. مجاهد: على براذين بيض عليها سروج الأرجوان، وعليهم المعصفرات، وكان ذلك أول يوم رؤي فيه المعصفر<sup>(٥)</sup>. قال قتادة: خرج على أربعة آلاف دابة عليهم ثياب حمر، منها ألف بغل أبيض عليها قُطْف حمر<sup>(٦)</sup>. قال ابن جريج: خرج على بغلة شهب عليها الأرجوان، ومعه ثلاثمائة جارية على البغال الشهب عليهن الثياب الحمر<sup>(٧)</sup>.

(١) صحيح إليه: الطبري (٢٠ / ١١٤) في تفسيره.

(٢) كذا في السابق (٢٠ / ١١٤)، وانظر: ابن أبي حاتم (١١ / ٣٥٦) في تفسيره.

(٣) حسن إليه: ابن أبي حاتم (١١ / ٣٥٨) في تفسيره.

(٤) هذا قول ابن جريج معلقاً عند الطبري (٢٠ / ١١٥) في تفسيره.

(٥) حسن إليه: الطبري (٢٠ / ١١٥) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١٧٨٨٥) في تفسيره.

(٦) صحيح إليه لكنه رواه بلاغاً: الطبري (٢٠ / ١١٥) في تفسيره.

(٧) سبق تخريجه.

وقال ابن زيد: خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات<sup>(١)</sup>. الكلبي: خرج في ثوب أخضر كان الله أنزل على موسى من الجنة فسرقه منه قارون<sup>(٢)</sup>. وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كانت زينتة القرمز.

قلت: القرمز: صبيغ أحمر مثل الأرجوان، والأرجوان في اللغة صبيغ أحمر؛ ذكره القشيري. قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ أي نصيب وافر من الدنيا. ثم قيل: هذا من قول مؤمني ذلك الوقت، تمنوا مثل ماله رغبة في الدنيا. وقيل: هو من قول أقوام لم يؤمنوا بالآخرة ولا رغبوا فيها، وهم الكفار.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهم أحيار بني إسرائيل قالوا للذين تمنوا مكانه: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ يعني الجنة ﴿لِمَنْ أَمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ أي لا يؤتى الأعمال الصالحة، أو لا يؤتى الجنة في الآخرة إلا الصابرون على طاعة الله. وجزا ضميرها لأنها المعنية بقوله: ﴿ثَوَابَ اللَّهِ﴾.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يَقْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ قال مقاتل: لما أمر موسى الأرض فابتلعتة قالت بنو إسرائيل: إنما أهلكه ليرث ماله؛ لأنه كان ابن عمه؛ أخي أبيه، فحسف الله تعالى به وبداره الأرض ويجمع أمواله بعد ثلاثة أيام، فأوحى الله إلى موسى إني لا أعيد طاعة الأرض إلى أحد بعدك أبداً. يقال: خَسَفَ المكانُ يخسفُ خُسُوفًا ذهب في الأرض وخَسَفَ اللهُ به الأرض خَسْفًا أي غاب به فيها. ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ وخَسَفَ هو في الأرض وخَسَفَ به. وخسوف القمر كسوفه. قال ثعلب: كَسَفَتِ الشَّمْسُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ؛ هذا أجود الكلام. والخسف النقصان؛ يقال: رضي فلان بالخسف أي بالنقص. ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي جماعة وعصابة. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ لنفسه أي الممتنعين فيما نزل به من الخسف. فيروى أن قارون يسأل كل يوم بقدر قامة، حتى إذا بلغ قعر الأرض السفلى نفخ إسرافيل في الصور؛ وقد تقدم؛ والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ أي صاروا يتندمون على ذلك التمني و﴿يَقُولُونَ وَيَكَانُ اللَّهُ﴾ «وي» حرف تندم. قال النحاس: أحسن ما قيل في هذا قول الخليل وسيبويه ويونس والكسائي إن القوم تنبهوا أو نبهوا؛ فقالوا «وي»، والمتندم من العرب يقول في خلال تندمه «وي». قال الجوهري: «وي» كلمة تعجب، ويقال: ويك ويوي لعبد الله. وقد تدخل وي على كان المخففة والمشددة تقول: ويكان الله. قال الخليل: هي مفصلة؛ تقول: «وي» ثم تبتدى فتقول: «كان». قال الثعلبي: وقال الفراء: هي كلمة تقرير؛ كقولك: أما ترى إلى صنع الله وإحسانه؛ وذكر أن أعرابية

(١) حسن إليه: الطبري (٢٠/ ١١٥) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١١/ ٣٥٩) في تفسيره.

(٢) ضعيف جداً: الطبري (٢٠/ ١١٥) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١١/ ٣٥٧) في تفسيره.

قالت لزوجها: أين ابنتك وبُلك؟ فقال: وبَي كَأَنه وراء البيت؛ أي أما تربته. وقال ابن عباس والحسن: وبك كلمة ابتداء وتحقيق تقديره: إن الله يبسط الرزق. وقيل: هو تنبيه بمنزلة ألا في قولك ألا تفعل وأماً في قولك أما بعد. قال الشاعر:

سالتاني الطلاق إذ رأيتني      قلّ مالي قد جثمتاني بئكر  
وبَي كَأَن من يَكُن له نَشَبٌ يَجِبُ      بَ وَمَن يَفْتَقِرُ يَعِشُ عِيشَ ضَرَّ

وقال قُطْرُب: إنما هو وبلك وأسقطت لأمه وضمت الكاف التي هي للخطاب إلى «وبَي». قال عنترة:

ولقد شَفَى نفسي وأبرأ سَقَمَهَا      قَوْلُ الفوارسِ وبَيْكَ عَتَّرَ أَقْدَمُ

وأنكره النحاس وغيره، وقالوا: إن المعنى لا يصح عليه؛ لأن القوم لم يخاطبوا أحداً فيقولوا له وبلك، ولو كان كذلك لكان إنه بالكسر. وأيضاً فإن حذف اللام من وبلك لا يجوز. وقال بعضهم: التقدير وبلك اعلم أنه؛ فأضمر اعلم. ابن الأعرابي: ﴿ويَكُنَّ اللهُ﴾ أي اعلم. وقيل: معناه ألم تر أن الله. وقال القتيبي: معناه رحمة لك بلغة حمير. وقال الكسائي: وبَي فيه معنى التعجب. ويروى عنه أيضاً الوقف على وبَي وقال كلمة تفجع. ومن قال: وبك فوقف على الكاف فمعناه أعجب لأن الله يبسط الرزق وأعجب لأنه لا يفلح الكافرون. وينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب لا اسماً؛ لأن وبَي ليست مما يضاف. وإنما كتبت متصلة؛ لأنها لما كثر استعمالها جعلت ما بعدها كشيء واحد. ﴿لَوْلَا أَن منُ اللهُ عَلَيْنَا﴾ بالإيمان والرحمة وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البغي والبطر ﴿لَخَسَفَ بنا﴾ وقرأ الأعمش ﴿لَوْلَا منُ اللهُ عَلَيْنَا﴾. وقرأ حفص: ﴿لَخَسَفَ بنا﴾ مسمى الفاعل. الباقون: على ما لم يسم فاعله<sup>(١)</sup> وهو اختيار أبي عبيد. وفي حرف عبد الله ﴿لَا نَخُسِفَ بنا﴾ كما تقول انطلق بنا. وكذلك قرأ الأعمش وطلحة بن مُصَرِّف. واختار قراءة الجماعة أبو حاتم لوجهين: أحدهما قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارَهُ الْأَرْضُ﴾. والثاني قوله: ﴿لَوْلَا أَن منُ اللهُ عَلَيْنَا﴾ فهو بأن يضاف إلى الله تعالى لقرب اسمه منه أولى. ﴿ويَكُنَّه لا يَفْلِحُ الْكافِرُونَ﴾ عند الله.

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>  
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ يعني الجنة. وقال ذلك على جهة التعظيم لها والتفخيم لسانها. يعني تلك التي سمعت بذكرها، وبلغك وصفها ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ أي رفعة وتكبراً على الإيمان والمؤمنين ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ عملاً بالمعاصي. قاله ابن جريج ومقاتل<sup>(٢)</sup>. وقال عكرمة ومسلم البطين: الفساد أخذ المال بغير حق<sup>(٣)</sup>. وقال الكلبي الدعاء إلى غير عبادة الله. وقال يحيى بن

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٥٦).

(٢) حسن إلى ابن جريج: الطبري (٢٠ / ١٢٢) في تفسيره.

(٣) حسن إلى عكرمة: الطبري (٢٠ / ١٢٢) في تفسيره، ورواه صحيحاً، عن مسلم البطين أيضاً.

سلام: هو قتل الأنبياء والمؤمنين. ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قال الضحاك: الجنة (١). وقال أبو معاوية: الذي لا يريد علواً هو من لم يجزع من ذلها، ولم ينافس في عزها، وأرفعهم عند الله أشدهم تواضعاً، وأعزهم غداً ألزمهم لذلك اليوم. وروى سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد قال: مرّ علي بن الحسين وهو راكب على مساكين يأكلون كسراً لهم، فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم، فتلا هذه الآية ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾ ثم نزل وأكل معهم. ثم قال: قد أجبتكم فأجيئوني. فحملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم وصرفهم. خرّجه أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال حدثني أبي، قال حدثنا سفيان بن عيينة. فذكره. وقيل: لفظ الدار الآخرة يشمل الثواب والعقاب. والمراد إنما ينتفع بتلك الدار من اتقى، ومن لم يتق فتلك الدار عليه لا له؛ لأنها تضره ولا تنفعه.

قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ تقدم في «النمل» (٢). وقال عكرمة: ليس شيء خيراً من لا إله إلا الله. وإنما المعنى من جاء بلا إله إلا الله فله منها خير (٣). ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي بالشرك ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي يعاقب بما يليق بعمله.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٤) وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ (٥) وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦) وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧)﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ ختم السورة ببشارة نبيه محمد ﷺ برده إلى مكة قاهراً لأعدائه. وقيل: هو بشارة له بالجنة. والأول أكثر. وهو قول جابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد (٤) وغيرهم. قال القتيبي: معاد الرجل بلده؛ لأنه ينصرف ثم يعود. وقال مقاتل: خرج النبي ﷺ من الغار ليلاً مهاجراً إلى المدينة في غير الطريق مخافة الطلب، فلما رجع إلى الطريق ونزل الجحفة عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها، فقال له جبريل إن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ

(١) وهو قول قتادة أيضاً، وعن عكرمة، كما عند ابن أبي حاتم (١١/ ٣٧٥) في تفسيره.

(٢) عند الآية (٨٩).

(٣) لم أجدّه مسنداً: النحاس (٣/ ٢٤٤) في إعراب القرآن.

(٤) القول بأنه عائد إلى مكة ﷺ: حسن إلى ابن عباس، وصحيح إلى مجاهد، كما عند الطبري (٢٠/ ١٢٥) في

تفسيره، وهو قول عكرمة أيضاً.

أما قوله: هو بشاره له بالجنة: فضيف. كما عند الطبري (٢٠/ ١٢٤) في تفسيره.

الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴿١﴾ أي إلى مكة ظاهراً عليها (١). قال ابن عباس: نزلت هذه الآية بالجحفة ليست بمكة ولا مدنية. وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ﴿إِلَى مَعَادٍ﴾ قال: إلى الموت (٢). وعن مجاهد أيضاً وعكرمة والزهري والحسن: إن المعنى لראدك إلى يوم القيامة (٣)؛ وهو اختيار الزجاج. يقال: بيني وبينك المعاد؛ أي يوم القيامة؛ لأن الناس يعودون فيه أحياء و﴿فَرَضَ﴾ معناه أنزل. وعن مجاهد أيضاً وأبي مالك وأبي صالح: ﴿إِلَى مَعَادٍ﴾ إلى الجنة (٤). وهو قول أبي سعيد الخدري وابن عباس أيضاً؛ لأنه دخلها ليلة الإسراء (٥). وقيل: لأن أباه آدم خرج منها. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ﴾ أي قل لكفار مكة إذا قالوا: إنك لفي ضلال مبين ﴿مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أنا أم أنتم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ أي ما علمت أننا نرسلك إلي الخلق وننزل عليك القرآن. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ قال الكسائي: هو استثناء منقطع بمعنى لكن. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهْرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ أي عوناً لهم ومساعداً. وقد تقدم في هذه السورة. قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يعني أقوالهم وكذبهم وأذاهم، ولا تلتفت نحوهم وامض لأمرك وشأنك. وقرأ يعقوب: «يَصُدُّكَ» مجزوم النون. وقرئ: «يَصُدُّكَ» من أصدّه بمعنى صدّه وهي لغة في كلب. قال الشاعر:

أُنَاسٌ أَصَدُّوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ عَنْهُمْ  
صُدُّوا السَّوَاقِي عَنْ أَنْوْفِ الْحَوَائِمِ

﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي إلى التوحيد. وهذا يتضمن المهادنة والمواعدة. وهذا كله منسوخ بآية السيف (٦). وسبب هذه الآية ما كانت قريش تدعو رسول الله ﷺ إلى تعظيم أوثانهم، وعند ذلك ألقى الشيطان في أمية أمر الغرانيق على ما تقدم (٧). والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا تعبد معه غيره فإنه لا إله إلا هو (٨). نفي كل معبود وإثبات لعبادته. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قال مجاهد: معناه إلا هو وقال الصادق: دينه. وقال أبو العالية وسفيان: أي إلا ما أريد به وجهه؛ أي ما يقصد إليه بالقرية (٩). قال [الشاعر]:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ  
رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهَ وَالْعَمَلُ

وقال محمد بن يزيد: حدثني الثوري قال سألت أبا عبيدة عن قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فقال: إلا جاهه (١٠)، كما تقول لفلان وجهه في الناس أي جاهه. ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ في الأولى والآخرة ﴿وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال الزجاج: ﴿وَجْهَهُ﴾ منصوب على الاستثناء، ولو كان في غير القرآن كان إلا وجهه بالرفع، بمعنى كل شيء غير وجهه هالك كما قال [عمرو بن معدي كرب]:

وكلُّ أخٍ مفارقة أخوه  
لعمراً أبيك إلا الفرقدان

والمعنى كل أخ غير الفرقدين مفارقة أخوه. ﴿وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بمعنى ترجعون إليه.

(١) ضعيف: أرسله مجاهد، وانظر: الطبري (٢٠ / ١٢٣) في تفسيره.

(٢) حسن: وقد سبق.

(٤) انظر: الطبري (٢٠ / ١٢٣) في تفسيره.

(٥) حديث ابن عباس رضي الله عنهما سبق تخريجه، وروايته إلى أبي سعيد رجالها ثقات كما في مسند أبي يعلى (١١٣١).

(٦) لا أرى هنا صحة دعوى النسخ، فالسيف يرفع في حالات معروفة، والدعوة قائمة حتى إذا احتاجت رفع السيف، والله أعلم.

(٧) قصة باطلة: وسبق تفنيدها.

(٨) ضعيف: ابن أبي حاتم (١١ / ٣٨٢) في تفسيره.

(١٠) معاني القرآن (٣ / ٢٤٤) للنحاس.

(٩) انظر السابق.